نماذج من الشعر العربي في العصر الحديث

نماذج من الشعر العربي
فـــي الصحراء

د. محمد سعيد القشاط

نماذج من الشعر العربي
فـي الصحراء

شركة الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
1996 افرنجي

الناشر:

شركة الملتقى
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان
ص. ب 113/6505

الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة
في مثواها الأخير

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

صحراء العرب الكبرى التي تحتل وسط الشمال الافريقي من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، تقطنها قبائل عربية بل من صميم العرب، قطعهم عن اخوتهم في الشمال اتساع الصحراء، ورسوخ الاستعمار الفرنسي في المنطقة لأمد طويل.

عاش عرب الصحراء في تعتيم مقيت، جهل أخوانهم عنهم كل شيء.

غير أنهم لم يأبهوا بذلك، فأرسوا دعائم حضارة صحراوية في تلك الأصقاع وتكيفوا مع الصحراء واتساع آفاقها ووعورة مسالكها. فأنشأوا المدارس الخاصة بهم، وأكثروا من الكتاتيب. ونبغ منهم الشعراء والأدباء والمؤرخون والعلماء الأجلاء. وعمرت خيام الصحراء بآلاف المخطوطات اللغوية والفقهية والتاريخية ودواوين الشعر.

To: www.al-mostafa.com

رأيت في هذه العجالة أن أجمع مجموعة من القصائد لشعراء من الصحراء بعضهم في موريتانيا، وبعضهم في شمال مالي لأقدم لقرّاء العربية نموذجاً للشعر العربي في صحراء العرب.

المتمعن لهذا الشعر يجده نفس الشعر العربي قبل الإسلام وفي صدره الأول، نفس التشبيهات والبدايات، الغزل، والوصف وذكر الأماكن والآبار، العفة في الوصف، والحياء في التشبيب، والتلميحات في الوداع والصبر على البوح بما تحوي الصدور.

جمعت هذه القصائد من مخطوطات عثرت عليها في المنطقة، ومن حفظ الحافظين، ومن بعض القصائد المنشورة في كتاب الوسيط.

جمعت هذه القصائد لأقدمها للقارىء العربي كنموذج لشعر أهله واخوته في الصحراء، علّ هذا العمل يجد من يتحمس لإتمامه من البحاث العرب والدارسين وأن يجند بعض الدارسين العرب أنفسهم لنفض الغبار عن تراث عروبتهم في الصحراء، وأن يظهروا آلاف المخطوطات للنور بدلاً من أن تقبع في صناديق الأسر في خيام البدو بالصحراء.

وقبل أن تنقل إلى بلدان الغرب الذي ينفق على بحاثه المتوزعين في الصحراء يجمعون وثائق ومخطوطات نحن أجدر بجمعها وحفظها ونشرها.

آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مذكوراً أخدم به أمتي وأهلي ووطني.

وما توفيقي إلا بالله.

د. محمد سعيد القشاط

طرابلس الغرب.

2 من شهر الطير/ ابريل 1994

الشاعر عبد الله بن محمد عبد الله بن سيدي علي النجيب

لاحت لهندٍ بذاتِ الدُّبِّ أطلال
عَفَا معارفَها هوجٌ وأسيالُ
فذاتُ عَنْسٍ وذات التوأمين إلى
وادي الصناديق فالقرعاء فالخالُ
أضحت كأن لم تكن للأهل مرتبعاً
ولم تكن لهمُ بالقيظ محلالُ
سقى الإلٰه إضيناً بين أودية
قُفْرِ المعارفِ لا يبدو بها خالُ
وقفتُ أسأله والدمعُ منحدرٌ
على الترائب منهلٌ وهطّالُ
فقال مثلك لا ينفكُّ يسألني
كفاك منّي ما تبدي لك الحالُ

واستطرفت بعد ما لاح الصباحُ بهم
ركـابـهُـم زُجَـلاً يـحـد بـهـا الآل
لـعـلّ إلـمـامـةً بـالـخـالِ ثـانـيـةً
يُشْفَى بها من غليل الصّدْرِ بلْبَالُ

* * *

الشاعر عبد الله بن محمد عبد الله بن سيدي علي النجيب

كيف السُّلُوُّ وقد شطّتْ بنا الدار
أم كيف أصبرُ والأحبابُ قد سارُوا
ومنزلُ الأنس أمسى بعد ساكِنِه
مُسْتوْحِشاً حينَ غابت عنه أقمارُ
ما كان أحسَنَنَا والدارُ تجمعُنا
والحبلُ متّصِلٌ والعيْشُ مدرارُ
يا ساكنين بقلبي أينما قطنوا
وراحلين بقلبي أينما ساروا
غِبْتُم فأظلمت الدنيا لغيبتكم
وضاق من بَعْدِكم رحبٌ وأقطارُ
ليت الغراب الذي نادى بفرقتكم
عارٍ من الريش لا تحويه أوكارُ

* * *

الشاعر محمد المبارك بن حمثّال الأنصاري

لمن الطلولُ على شفير المنهلِ
كدريس بِزّةِ عائلٍ متبذّلِ
أرخت عليها كل مُزْنٍ رُدنَهَا
وألحّ عنها كُلُّ جونٍ حَوْمَلِ
رِبْعٌ لغانيةٍ سَهِدْتُ لذِكرها
فاغرورقتْ عيني بدمْعٍ مُسْبِلِ
دَرْماء عَبْهرةٍ شموعٍ طَفلةٍ
تنفي الكروبَ على ضمير هَبَرْكَلِ
خُمصانةٍ قبّاء خوْدٍ بضّةٍ
رقراقةٍ مَرْمَارةٍ مِنْ مُجَوَلِ
ممكورةٍ بهنانةٍ عطبولةٍ
عجزاء هيفافِ أناةٍ عيطَلِ

وكـأنّ كـشـحَـيْـهـا إذا جـرّدتَـهـا
بـاللّـيـلِ بـعـد الـبـردِ نَـسْـجُ الـكـهْـدَلِ
وكـأن عـن لـبّـاتِـهـا لـجـمَـالِـهـا
وكـمـالِ رونَـقِـهـا كـجـمـرةِ مُـضْـطَـلِـي
مـن جـاءهـا وقـت الـغـيـاهـب نـالَ مـا
يُـزري بـطـيـب ألـنّـجَـجِ وقـرنـفُـلِ
تُـلـهـيـك عـن حـسـن الـنـسـاء وتَـنْـبـي
لُـبّ الـلـبـيـب بـكـالـرّحـيـق الـسّـلْـسَـلِ
وتـمـيـسُ مَـيْـسَ الـوزّ عـنـد قـيـامِـهـا
وفـتـورُهـا عـمّـا قـلـيـلٍ يَـجْـتَـلِـي
لـمـيـاء تـقـتـحـم الـغـوائـلِ فـي الـدّجـى
لـتـنـال مـنـهـا يـا لـهـا مِـنْ كَـهْـدَلِ
وأظُـنُّ أن لـم يـخْـلُـق الـمـولـى لـهـا
نِـدًّا إذا افـتـرّت بـلـيـلِ ألـيَـلِ
وإذا رمـثـكَ بـطـرْفِـهـا انـقـطَـعَـتْ لـه
أعـشَـارُ قـلـبِـك سـامـحـاً بـتـذلُّـلِ
يـا لـيـتـنـي نـلـتُ الـمـزارَ لأهـلـهـا
فـأذوق طـعـمَ رِضَـابِـهـا وأقَـبِّـلِ
مـن لامـنـي فـي ودّهـا عُـذري لـه
لـو ذقْـتَ مـا قـد ذقْـتُـه لـم تَـعْـذُلِ

بَـرّامَـةٌ تَـغـطُـو بـكـفٌ طـيّـبِ
هـرّابـةٌ مـن كـل جَـبْـسٍ بُـهْـصُـلِ
قَدْ منّ ربُّ العرشِ عن بعْلٍ لها
لـمّـا أبـاتَـهُـمـا شـريـكـي قَـرْقَـلِ
تَبًّا لـمـغـتـابٍ رمى وأبى الـهَـجَا
عـنـدي لـحـاهُ الـلـه مـن مـتـكـيّـلِ

* * *

الشاعر حمّاها بن محمود

يا صاحبي عُجّ بالطّلولِ الرّكُوب
نسألْ عن الأهلِ ونَبْكِ الغروب
لعلّ دمعَ العينِ يُشْفَى به
وَجدٌ له في القلبِ دهراً عُكُوب
دارٌ لفاطِمَات أمسَتْ كأن
لَمْ تغنِ بالأهلِ بذات الكثيب
فقال: ما سؤالنا هامداً
ورُكّداً مَوَاثِلاً لا تُجيب
هل من رسولٍ مُبْلغ غادةٍ
قلبي لَها دوماً مَشوقٌ طَرُوب
إذا تراءى طيفُها في الكرى
لِيَ مَوْهِناً بكيْتُ شَجْوَ الغريب

وإن رجـوتُ وَصْـلَـهـا سـاعـةً
تعَرّضَتْ دون الوصال الخُطُوبْ
وإن سـمـت لـي نـحـوهـا نـظـرة
نمّت على القلب فأمسى يذوب
ذكرى تـهـيـج الشوق ما إن تني
تعتادني ما إن لها من عزوب
فـيـا لـهـا مـن غـادة تَـنْـتَـبـي
قلبي فأعيا الداءُ منه الطبيب
خودٌ تساقي الصَبّ صرف الهوى
تـلـيـن إن عـاتـبـتـهـا وتـطـيـب
كـأن فـي فـيـهـا بُـعَـيْـد الكـرى
مُـدَامـةً بـمـاء مُـزنٍ وطـيـب
ظـالـمـةٌ تـسـطـو ولا تـخـتـشـي
وهـي بـألـبـاب الـرجـالِ لَـعـوب
والـضـعـفُ والـعـجـزُ بـهـا ظـاهـرٌ
لـكـنّ سـلـطـانَ الـجـمـالِ مَـهِـيـب
لـهـا مـن الـقـلـوبِ مـا تـشـتـهـي
ومـا لـنـا فـي قـلـبـهـا مـن نـصـيـب
رفّـي لـصـبٍّ صـادقٍ فـي الـهـوى
وشـاهـداه عـبـرةٌ وشـحـوب

هـل لـلـيـالـي الـوصـلِ مـن عـودةٍ
يُشْفَى بها القلبُ المُعَنّى الكئيب
أم لا فـلا مَـطْـمـعَ فـيـهـا وقـد
جَفَا الحبيبُ والمزارُ عصيب
تـعـتـادنـي مـن ذِكـرهـا هـزّة
وعَـبْـرةٌ مـا تـنـقـضـي ونـحـيـب
لـيـالـي الـلـهـوِ لـه نَـشْـوَة
نجني ثمارَ كلِّ روضٍ خصيب
والـدهْـرُ عـنّـا غـافـلٌ والـهـوى
طـلـقٌ ودارُ الـحـبِّ مـنّـا قـريـب
والـوصـلُ مـدرارٌ ولـيـس لـنـا
إلاّ ارتـدا ثـوبِ الـعـفـافِ رقـيـب
إنّـي وتـهـيـامـي بـهـا إذ عَـدَت
عَـنْـهـا الـعـوادي والـزمـانُ المـريـب
كـالـذي يـتّـبِـعُ الآل فـي
رقـراقِه يـحـجـو الـشـرابَ الـشـريـب

* * *

الشاعر حمّاها بن محمود

أقول لصاحبي والدمع منّي
على الخدين يجري في المغاني
أكفكفه وتبعثُه شجونٌ
أربّت في الحيازم مُذْ زمانِ
أوافيه بما منّثك ليلى
أم الأخْلافُ من شيم الغواني
ألا يا ليت شعري هل لماني
من الأمر الخِلاجِ أخو بيانِ
أحالت بعدنا عمّا عَهِدنا
لأن عزّ التواصُل والتداني
لعمركَ والهوى بزخّ شديدُ
علينا حملُه لولا الأماني

أعـلّـلُ بـالـمـنـى قـلـبـي وإنـي
أسـيـرٌ لـلـهـوى فـي الـغُـلّ عـانِ
لـقـد حـلّـت بـقـلـبِـك واسـتـحـلّـتْ
لـقـتـلـك بـالـهـوى لا بـالـطّـعَـانِ
ورُبّـةَ لـيـلـةٍ قـد بـتُّ فـيـهـا
أسـيـرُ مـع الـهـوى طَـلْـقَ الـعـنـان
لَـعَـمْـرِكَ إنّـنـي لـمّـا افـتـرقـنـا
غـداةَ الـبـيـن مـكـرون الـجـنـان
فـقـال: تـجـلّـدَنْ فـلـيـس يُـجـدي
مـن الـشـوقِ الـبـكـاءُ ولا الأغـانـي
فـقـلـت: دعِ الـعـتـاب فـغـيـر عـدلٍ
عـتـابُ مـتـيّـم غـلـق الـرهـان
ولا عـجـبٌ إذا انـهـلّ دمـعـي
لـخـوْدٍ مـا لـهـا فـي الـحُـسْـنِ ثـانِ
كـأن جـبـيـنـهـا لـمـا تـبـدّت
لـنـا مـن بـيـن أتـرابٍ حـسـانِ
تُـجَـلـي عـن ثـنـايـا بـارداتٍ
كـمـثـل الـدُّرّ أو كـالأقـحـوان
درارِيُّ الـنـجـوم بـدتْ بـصـحْـوٍ
لـبـدْرِ الـتـمّ أو فَـضَـضُ الـجُـمـانِ

إذا ابْتَسَمت تُريك الليلَ صبحاً
بلمعٍ يُخجلُ البرقَ اليماني
وإن قامت لجارتِها تثنّتْ
كما ماست غصونُ الخيزرانِ

* * *

الشاعر محمد بن ابراهيم الأنصاري

ألا طرقت خديجةُ مُستهاما
يُـرَدِّدُ فـي حـيـازمـه غـرامـا
فـظـلّ وجَـفْـنُـه يـرْفَـضُّ دمـعـاً
عـلى خدّيْه ينسجمُ انسجاما
تـكـلّـفُـه الـهـمـوم إذا رأتـه
يـطـوفُ بـدارِهـا أن لا يـنـامـا
هـمـومٌ كُـلّـمَـا كـلّـفْـتُ نـفـسـي
تُـجَـمـلَ شـأنِـهـا وَرَدَت ذِمَـامـا
إلـى غـيـداء مـثـلِ الـدُّرّ لـونـاً
وإبـهـاجـاً وأحْـسَـنِـه ابـتـسـامـا
إذا ابـتـسـمـت فـمـا لـيـلٌ بـلـيـلٍ
وتـحـتـشـمُ الـبـروقُ لـهـا احـتِـشـامـا

تـزيـد مـحـاسـنـاً فـي كـلّ يـوم
بـعـيـنِ الـنّـاظـريـن لـهـا دوامـا
سـلام الـلـه يـا تَـمَـدَيْ عـلـيـكـم
ولـو أنّـسَـاكِ بـعـدكُـمُ الـذّمـامـا
سـلامٌ كـلـمـا مـرّتْ حـمـامٌ
أحـمّـلُـه لـهـا عـامـاً فـعـامـا
أقـول لـهـا حـمـامُ الـجـوّ مـهـلا
رويـدكِ بـلّـغِـي عـنّـي كـلامـا
لأنّ الـشـوقَ بـعـد الـبـيـنِ شـيءٌ
مُـهـيـنٌ مَـنْ يُـلازمُـه لِـزَامـا
ألا يـا ريـحَ نـفـسـي مِـنْ شـجـاهـا
إذا حـيّـيْـتُ دارِكِ مُـسْـتـهـامـا
أحـيّـيـهـا ولـيـس بـهـا أنـيـسٌ
يـردُّ عـلـى تـحـيّـتِـيَ الـسـلامـا
تـحـيّـة ذي الـصـبـابـةِ لـيـس يَـنْـبـوَ
إذا اجـتـمـع الأجـنّـةُ والـنّـدامـى
كـأنّـي يـوم مـظْـعَـنِـكُـم يـتـيـمٌ
أعـالـجُ مـا تـعـالـجُـه الـيـتـامـى
يَـطـلُـقـه الأسـى طَـوراً وطـوْراً
يـمـازجُ مـن ثـلاثـتـه الـعـظـامـا

* * *

الشاعر حمّاها بن محمود

لـتـنـبـكـتُ شـوقٌ دائـمٌ وأنـيـنُ
وتـذرافُ دمـعٍ هـاطـلٍ وحـنـيـنُ
أبيتُ وقلبي للهمومِ معسكِرٌ
وأُصبِحُ صبّا والدُّموع هتونُ
ولو لم يَشُقْنِي البينُ يَوماً لشاقني
حمامُ تغنّى في الغصون حزين
إذا ما عرضْتَ الصبْرَ للقلبِ شاقَهُ
همُومٌ له ما تَنْقضي وشجونُ
كأن فؤادي يوم أصبحتُ شاسعاً
هديلُ حمامٍ باليدين رهين
تضيقُ عليّ الأرضُ حتى كأنّنِي
من العُمي حيرانٌ جفاهُ معينُ

أرى كل ذي إلفٍ يضاحِكُ إلفَهُ
وليس معي إلا الهموم خدين
ومما شجاني والخطوب كثيرةً
وليس على الدهرِ الخؤون ضمين
تداعي حماماتٍ على غُصنيْنِ بانةٍ
فيهتاجُ داءٌ في الفؤادِ دفينُ
تداعيْنَ فاستعبرْتُ بالدمْع والهوى
تباريح أطوارٌ جوًى وجنونُ
كأني إذا جنّ الظلام وأُسدلت
عليّ من الليل البهيم جفونُ
أخو شقّةٍ قد منّهُ السيْرَ واحتَوتْ
عليه من الأرضِ الفضاءِ بطُون
رمى طرفُه في جانبيه فلا يرى
سوى مجهلٍ قفرٍ وليس قرينُ

* * *

الشاعر محمد المختار بن حوّد الأنصاري

فلما رأيت الشوقَ لا بدّ قاتِلي
نهضْت إلى أقتادِ أعوجَ بازلِ
هبلٌ كأن الرخلَ فوق سراتِه
على قارحٍ منْ ماءِ كرْوَسَ ناهِلِ
يبيتُ نسِيفُ البقْل حول كناسِه
ويسحَلُ عن أُتنٍ حيالٍ حلائِلِ
يُطَاردها في الآل كلّ هجيرةٍ
على محز إلأتِ صلابٍ ذوابِلِ
يشجُّ بها أعلى الشَّعافِ وتارةً
يطوفُ بها حول الهضابِ القواعِلِ
على مثلِهِ أجْلوُ الهموم وأمْتَطي
إذا ما أتت إحدى الليالي بهائِلِ

نـعـم قـد وردنـا مـاء هـورُ غـديّـةً
فقلتُ ألاهل من مجيبٍ لسائِلِ
فـقـالـت لـنـا سـوداءُ لا درَّ درُّهَـا
أفي فدفدٍ قفرٍ محطُّ المسائلِ
فبرّحَ بي فقْدُ الأحبّةِ كلهم
وزاد الذي بي من هوى غير زائلِ
فقلتُ لناجٍ تحتَ رَحْلِي ضامرٍ
يخبُّ ويربي جذبَه بالتّنَاقُلِ
مناخَك وادي الجِنّ وادي جبنكرٍ
فَتَقْسَ فصنْفُ عهدُ ظَنّي بنازلِ
فلمّا أجَزْنَا سِلّ دون أرَنكم
وجور وأقْوَتْ من عدوٍّ مقاتِلِ
فعنّ لنا حيطانُ «ليرى»[1] ودومُها
انَخْتُ وقلبْتُ الحصى بأناملي
فقالت لي النفسُ التي لو أطَعْتُها
لأبتُ بِبَخْتِ الزمّلِ المتكاسِل
أتهجُرُ أرضاً بَجّلتْك خِيارُها
وتأوي إلى ركْنٍ بعيدٍ مُمَاحِلِ

---

(1) ليري: قرية بين موريتانيا ومالي داخل أراضي مالي.

فناديتُها يا نَفْسُ قرّي وأبشري
فإني لديهم فاضلٌ أو كفاضلِ
فلما وصلْنَا صوب مِيمَ وجدتُها
بها التائي هشٌ ذو فخارٍ ونائلِ
فتى لم يُدنّس عِرْضَه بؤس دهْرِه
فتًى كمُلَت أخْلاقُهُ غيرُ خامِلِ
أبى الله إلا أن يكون سميدعاً
سبوقاً إلى فرع العُلى المتطاولِ
إذا ما غريبٌ قال مَنْ لي بحاجتي
أشاروا إلى بَرٍّ وفيٍّ خُلاَحِل
به قد صفَتْ حتى استقامت وسُدِّدَتْ
قبيلتُه والله بين القبائلِ
فلما توادعنا وداعاً وأُغْمِلت
إلى بئر تاغُوتَلٌ أيدي الرّواحلِ
وحنّتْ إلى دار السلام وصُقْعِها
بكيتُ عليه بالدموع السوائل
فآليتُ لا أنفَكُّ أكْسُوهُ خُلّةً
قصائِدَ تترَى من طويلٍ وكاملِ
تعيرُ إليه من مُوَامٍ عميقةٍ
ويعْجزُ عن أمثالها كُلّ قائِلِ

وكـم دون كـنُّ مـن فـيـافٍ مَـهـالـكٍ
بـسـابـسَ يُـخْـشـى هـولَـهُـنّ مَـجـاهِـلُ
وكـنُّ غـيـاضٌ مِـن سَـيَـالٍ ومِـن غـضـاً
شـحـنّ بـشـريـانٍ أثـيـث الـخـمـائِـل
صـفـاصِـفُ يَـعْـلُـوهـا الـقـتَـادُ مُـتـيـهـةً
وأوديـةٌ مـن ضـالِ غـورِ الأسـافِـلِ
يَـخُـبُّ بـهـا سـافِـي الـسّـفِـيـر كـأنّـهـا
جـواحِـرُ رِجْـلٍ عـنْ رؤوس الـسّـنَـابِـل

* * *

شاعر يمدح الشيخ حبيب الله الكنتي[1]

ألـمـم بـدارٍ قـد تـغـيّـر حـالُـهـا
وعـفَـتْ بـأذيـالِ الـحـيَـا أذيـالُـهـا
وسَـلِ الـمـنـازل عـن بـثـيـنـةَ بـعـدمـا
ظـعـنَـتْ وودعـتِ الـرُّبُـوع رِحـالُـهـا
عَـلّ الـمنازل إن سألْتَ تـجيبُ سا
ئِـلَـهـا وإن لا لـم يَـفـدْكَ سـؤالُـهـا
إن لـم تُـجِبْكَ ديارُها فَسَلِ الـهـوى
عَـنـهـا يُـجـبـك جَـمَـالُـهـا وكـمـالُـهـا
أمـسـت بـثـيـنـة دارُهـا بِـتَـمَـسَـنَ قـد
شـطّ الـمـزارُ بـهـا وعَـزّ وصـالُـهـا

(1) هذا الشاعر لم أعثر على إسمه ولكنه من الصحراء.

إلا على خُوصٍ نجائب لا تَنِي
تَطْوِي الفلا متواصِلاً إرقالُها
إلا على ضخم الشَّوَى مشدودةٍ
برحالِها مفقودةٍ أثقالُها
إلا على وجْنَاءَ مُرْغَمةِ البُرَى
زيّافةٍ مُتَوَاترٍ اذلالُها
ولقد نأتْكَ بثينة أبداً ويا
ن إليك بعد وثاقها إرسالُها
دعْهَا وجارتَها رُقيّ متى غَدَتْ
لحديثِ غيركَ قد تخلّصَ بالُها
واقصِدْ ويمّمْ دارَ من كانَتْ له
الدارانِ مِلكاً تلك عزّ منالُها
أعني حبيب الله ذا الجدوى فلا
أعني سِوَاه بمَدْحةٍ أأُتالُها
يا سيدي أنتَ المُعَدُّ لكلِّ مَنْ
صَعُبَتْ حوائِجُهُ وضَاقَ مجالُها
وسَمَا كناتَةَ أنتَ أنت وأرضُها
وأمينُها ويمينُها وشمالُها

وجـمـيـلُ أعـبـاءِ الـعُـفَـاةِ بـلا أذًى
لـمّـا اشـتـكَـتْ أحْـمَـالَـهـا حُـمّـالُـهـا

وَلـدَى الـحُـروبِ ورائَةٌ مـن أبـيـك إذْ
نـادى نـزيـل الـحـرْبِ أنْـتَ نِـزَالُـهـا

ومِـكَـرُّهـا يـوم الـوغـى إن أدْبَـرَت
في الـضّـنْـك عـنـد الـمـلـتـقـى أبْـطَـالُـهـا

وعـلـيـك مـن فـضْـلِ الإلٰـهِ كـنـاتَـةٌ
مـوقـوفَـةٌ أقـوالُـهـا وفِـعَـالُـهـا

وإذا الـوسـائِـلُ فـي الـكـرام تقَطّعت
واسـتـنـكَـدَتْ عـن وِصْـلِـهـا وُصّـالُـهـا

وتَـصَـعّـدت رُوحُ الـسّـخـاءِ وجـسْـمُـه
عـالـثـهُ فـي بـطْـنِ الـثّـرَى أجـبـالُـهـا

واصـلـتَ مِـنْـهـا مـا تَـقَـطّـعَ مُـحْـكَـمـاً
وأمَـغْـتَ جَـامِـدَهَـا لـمـن يـكـتـالُـهـا

وردَدْتَ لـلأجـسـامِ أرواحَ الـنّـدى
تـغـتـالُ عـنـهـا كـلّ مَـن يـغـتـالُـهـا

رُتَـبُ الـمـعـالـي مُـنْـذُ قُـلْـتَ أنـالُـهـا
جَـزَمَـتْ بـأنّ سـواكَ لـيـس يـنـالُـهـا

هذا وراحتُكَ الكريمة أصْبَحَت
أمُّ العيالِ وكُلُّ كُنْتَه عيالُها
والأم تَظْفُر بالمُنى في مِلكِها
من كلِّ مُكْتَسَبٍ لَهَا أشبالُها
تلك اليدُ الطُولى التي عوّدتَها
كيْلَ الأيادي عذمذمٌ مِكيالُها
تلك اليدُ الطُولَى التي عن سيبها -
الهامي النَدى ما كفّها عُذّالُها
تلك اليدُ الطولى التي لا تأتلي
هذا مدى الدهر المؤيّدِ حالُها
وسجيةُ الكُرَماء فيكَ منوطَةٌ
بزوال نفسكَ لا أظَلّ زوالُها
فالبئرُ ما نزفَتْ غُرُوبٌ قعْرَهَا
إلاّ تفجّر بالمعين زُلالُها
والتّبْرُ ما ضَرَمَتْ بلفحةِ صَيقلٍ
إلاّ وراقك حُسْنُها وصقالُها
والعيسُ منك قد اشتَكَتْ من بذلِها
سُقْبَانُها فَنياقُها فجمالُها
وبِجَنْبِها البقرُ اشتكى والشاءُ
والخيلُ الجيادُ فحولُها فبغالُها

هـذا لـذا ولـذاك ذا ولـتـلـك تـى
لا يـأتـلـي مـن بـذلِـهـا بُـذّالُـهـا
بَلْ لـم تـزَلْ بـرحـابِـكـم مـعـقـولـةً
لـمـنْ اجْـتـدى أبـداً يُـفَـكُّ عُـقـالُـهـا
وإذا تَـطَـفْـلَـتِ الـعـفـاةُ بـبـابـكـم
رَبـحَ الأيـادي مـنـكُـمُ تَـطْـفـالُـهـا
يا خير من يمشي على قدمٍ ومن
داسَ الـثَّـرى أقـدامُـه يـخـتـالُـهـا
هـذاؤه نِـضـوٌ غـريـبٌ لاحـهُ
فـقـدُ الـكـرام سـواكُـمُ يـعـتـالُـهـا
ألـقـى عَـصَـا تَـسْـيَـارِه بـفـنـائـكـم
لـحـوائـج لا يـنـبـغـي إهـمـالُـهـا
جـمـلٌ تـلادٌ هـيـكـلٌ ثـغـرت لـه ـ
الأسـنـانُ أربـعُ واسـتـبـانَ كـمـالُـهـا
مِـنْ نـاقَـةٍ مـن شـولِ أكـرمِ نـوقـكـم
قـلّـتَ خـلال مُـرَاحِـكـم أشـكـالُـهـا

* * *

الشاعر عثمان بن حوالن الأنصاري يمدح امير الأنصار اللود الأنصاري لحربه للفرنسيين

راحَ الـزمـانُ بـأمـرٍ مـبـرمٍ عِـمَـم
مـا بـيـن مـبـتـدإٍ مـنـه ومـخـتـتـم
بـيـن الأحـبـةِ والأوطـانِ أو دِمَـنٍ
وفـقـدِ نـادى الـكـرامِ الـسـادةِ الـنُـجُـمِ
ودارُ عَـزّة مِـنْ هـيْـنٍ إلـى فَـرَشٍ
وَبَـرْبَـرٍ روضـةُ الـعَـربـاءِ والـعَـجـمِ
يا لائمي لا تلُم فالقلب محترقٌ
لو كنتَ تعلمُ ما في القلبَ من همم
وحقُّ جَفْني يُسيلُ الدَمْعَ من جزعٍ
والقلبُ للحزنِ والأوصالُ للسّقَمِ
والعينُ تدمَعُ من شهرٍ إلى سنةٍ
فما ارتَضى البثُّ بالدّمُوعِ دون دمِ

يـا قـائـمـاً بـحِـذَا عَـزَّه أعِـدْ خـبـراً
عـن مـنـزلٍ بِـجنَـاب الـهـيْـنِ مـنـهـدمِ
ومـعـهـدٍ قـسَـمَ الـفِـقْـدانُ أَرْبَـعَـةً
بـيـن الـوحـوشِ وبـيـن الـريـح والـدّيـمَ
وكـانَ مـن قـبـلُ وسْـطَ الـحـي كِـركـرةٍ
مـوالِـعَ الـنـوقِ والأتْـبَـاعِ والـخَـدَمِ
وقـد أراق فِـرَاقِـي مـن دمـاء فـكـم
دم يُـراقُ بـغـيـر الـجُـرح والـكُـلَـم
وكـم حـلـيـمٍ شـديـد الـصـبْـر تـيّـمَـه
بُـعْـدُ الـفـريـق وطـولُ الـبـيـنِ والـهِـمـم
حـيـاكِ يـا دارَ عَـزّ مـن هـنـاك حـيّـا
يـهـمـي بـمـنـهـمـرٍ فـي الـروضِ مُـبـتـسَـمِ
عـن ثـغْـرِ زهـرٍ بـنـورِ الـثّـوز مـبـتـهـجاً
مـن مـورقٍ أنِـق الأوراقِ مُـلـتـثـمِ
حـتـى غـدا كُـلُّ نَـجْـدٍ فـي مَـحَـاجـرهَـا
مُـخَـزّراً مـن أتَـي الـمـاءِ مُـنـسـجِـم
والـطـيـرْ تـغـرَدُ والأغْـصَـانُ لاعـبـةٌ
ضـفـادعُ الـرَوضِ فـي الـنـقـيـق مـن أمَـمِ
تـلـك الـفـتـاةُ الـتـي يـلـهـو بـهـا أحـدٌ
عـن الـسـمـيـر وعـن أهـلٍ وعـن رحِـمِ

كحلاءُ في سِعةِ العينين واضحةٌ
لعساءُ في شفنيها حُوَّةُ الأدَمِ
عجزاءُ ممكورةٌ برّاقةٌ قلقٌ
عنها الوشاحُ وتَمّ الطّبْعُ في الكرم
كم من خليلٍ وزيرٍ مُصْعدٍ عُذُراً
فوقَ الجبالِ وبين البحر والأكَمِ
إلى ذَرَاهَا يزور مَنْ تأثّفَها
كأنها قريةٌ من كَثْرةِ الأمَمِ
تزداد للعينِ إبهاجاً إذا ذهبت
وتخرجُ العينُ من وجْهٍ إلى قَدم
وكم أحنُّ حنين الشاكلاتِ على
آثارها وحنينُ البُعْدِ كالعدِم
عساكِ إن متُّ في ذكراكِ متُّ على
تمَلْمُلِ ما شَجَى صدر بمتَّهِمِ
لمّا تذكّرتُ يومَ السّدْرِ نازلةً
مقيمةً خِدْرَهَا المضْرُوبَ في الخِيَمِ
ونظرةً سلبتْ قلْبي فَطانَتَهُ
شَجَا الفؤادَ بنارِ الوجدِ مضْطَرِمِ
رُدّي بقيةَ روحٍ فاتَ من رمقِي
يا ديمةً خَرجتْ في أحسَنِ الديَمِ

سحّارةُ الطّرفِ ترمي من محاسِنِها
حَبَّ الفؤادِ بسهمِ العين مُبْرَهِمِ
وازْثي لقلبي بما في سِحْرِ عينك مِنْ
حبائلِ آخذاتِ الرأسِ والقدمِ
ورُبَّ شوقٍ مذيبٍ لي إليكِ مَضَى
حتّى أذابتْ به الأعضاءُ من ألمِ
وصفْتُ حالَكِ للعُشّاقِ فارتَفَعَتْ
أخْبارُ حُسْنِكِ في الفَيْفَاءِ والأطُمِ
وتحت سقْفِكِ شخصٌ عنْ ظَواهِرِه
نورٌ كَبَهْجَةِ نورِ البدرِ في الظُّلَمِ
خَلْفَ الخمارِ جمالٌ قد تخامَرَهُ
حُسْنُ الطبائِعِ من حِلْمٍ ومن كَرمِ
عواطِلُ السّرْبِ ترعى في مراتِعِهَا
فريقُ عَزّةَ بين الشوقِ والهِمَمِ
وما رعى من هواها إذ تذكّرَها
إلا بدمْعٍ على الخدّيْنِ منسجِمِ
كم من قتيل الهوى العذري في بلدي
وقد أفاق من الأحزانِ بالحُلُمِ
لما تصوّرها اللّعينُ في سَنَةٍ
له فهشّ وداوى القَلبَ من سقَمِ

حـيّـاك رَبُّ الـورى فـي كـلّ آونـةٍ
بكلّ مكـرُمـةٍ الأخـلاقِ فـي الـذّمَـمِ
وأصبحَتْ في نساءِ الحيِّ ظاهِرةً
فوقَ اللّداتِ بحسنِ الخلقِ والشِّيَمِ
وفـي الـخـدور بـدورٌ قـد تـأثّـفَـهـا
أتـبـاعُ صـدقٍ مـن الأحـرار والـخـدم
يمشين مشْيَ الظّبَاء عن حناجِرها
كـواكـبٌ مـن قـلائـدٍ ومـن ضَـرَمِ
كـم مـن فـقـيـهٍ نـبـيـهٍ زاهـدٍ ورعٍ
أصـبَـيْـنَـهُ وهَـوىَ وهَـمّ بـالـلـمَـمِ
لكن إذا طلعت شمسُ النهارِ فلا
تَرى النّجومَ ولا بدراً على الأُطُمِ
كـم عـاقَـلٍ عـاقـلٍ رمَـتْـهُ فـانـفـجَرَت
منْهُ عُروقُ الهَوى العُذْري منْ رِأَمِ
وقدْ تسلّيتُ عن تبريحي يا كَمَدي
بَعْدَ النّوَى بصِوَارِ الظبْى والدّيَمِ
ودِمْنةٍ نَسَفَتْ عَنْها الصبَا سُفعاً
كـأنـهـا خُـطَـطٌ عـن أمْـلَـسِ الأدَمِ
لَـئـيـاً بـلَـثْـيٍ تـرى الآثـافـي كـامـنـةً
أو الـجـواذرَ مـن مـورٍ ومـن هَـدَمِ

بيْنَ الأطوم طويلاً ما تعاقَبُها
سواهِكُ الريحِ والإعصارِ والرُّكَمِ
فبدّلَ الأنسَ وحْشاً والمُنى كمداً
فما بها من طبيب السُّقْمِ والألَمِ
فبتُّ ولهانَ في رَبْعٍ تقسَّمَهُ
سربُ القطا وصِوَارُ الظّبي مُنْهَدِمِ
وكانَ من قبْل طال ما تكَرْكَرَهُ
مواكبُ الخيل والسُّعَاةِ والرُّئَمِ
وكُلُّهم لِذَرَى عَزٍّ يُطَالِبُهَا
بنظرةِ العين أو بكلمةٍ بفمِ
وصيَّرَ الدهرُ ذاك شذراً مذراً
يا ليتني ذاك لم أشهَدْه مِنْ أمَمِ
يا لائمي لا تلم والنصحُ يخبلني
والشَوقُ ألْبَسَنِيَ دِرعاً من السَّقَمِ
والبثُّ أمْرضَنِي والحزنُ أرّقني
والهمُّ أترَعَ مِنْ رأسي إلى قدمي
والبينُ أولهني والدهْرُ كابَدَني
بحمْلِ وجْدٍ قصيم الظهرِ من دَقَمِ
من بين عَزّةَ والدموعُ تشهدُ لي
ما بيْن منهمرٍ مِنّي ومضْطَرِمِ

تلك الفتاةُ التي علّقْتُها عَرَضاً
ما مثلُها في نساءِ العربِ والعجمِ
كم من فلاةٍ مُهيلٍ ظهرُها غَشِيَتْ
وجهي بأهوَالِ الجوّ والشبم
فلا ترى العينُ إلاّ ما يخوّفُها
كالتُّرسِ في شبهٍ والبحرِ في طمَمِ
لكن ترى الوحْشَ في بحرِ الفلاةِ رَعَتْ
وجُذْجُذاً بَدَلَ الحيتانِ والبَلَمِ
أمْسَيتُ فيها أمُجُّ البقْلَ من عطشٍ
إبّانَ قيظٍ مكانَ الماءِ والرّخَمِ
ولا أعاقِبُ عن ظهْرِ الفلاةِ سوى
سِرْبَ الظِّبَا وقطاً وهيقمٍ صَتَمِ
ورهمةٍ ملأت عينيّ من رشقٍ
وسْطَ الفلاةِ ولا أحسُّ مِن رَنَمِ
إذا تلألأتِ البروقُ فاندفعت
شئابُ القطرِ عن رأسي إلى قدمي
فألجأتني إلى الأشجار متّخِذاً
أكنافَهَا بَدَلَ الأبياتِ والخيمَ
أنَخْتُ وَهْمِي وما إن ينخ من تَعَبٍ
لكن لحمْلِ غرابيبٍ من الديَمِ

ترى الرواتك عن أعلى طريقتِها
ما بينَ مستتَرٍ عنّي ومُقْتَحِم
كأنّما قُلِقَتْ عنها ببَلْقَعةٍ
حناظِلَ القيْظِ أو جماجِمُ البَهَمِ
كأنّ أعناقَها كراسِ سائِفَةٍ
أفواهُهَا كصدوعِ النَبْعِ والوسَمِ
شُخْتُ القَوائِم لا مأوى لها أبداً
إلا الدّهاسُ عن الأحقافِ والهَوَمِ
ترى الظليمَ تحاذيه نعامَتُهُ
يُلهيه آءٌ ومرعى الدوِّ عن أكَمِ
حتى إذا ما استوى عن ربْوَةٍ نَظَراً
وشامَ افْرُخَهُ وخافَ من رُكَمِ
فارقَدَّ من تحتِ عَرّاصٍ ويطرُدُه
سواهِكُ المورِ والإعصارِ والنَّسَمِ
تَتْبَعُهِ صَعْلَةٌ خَرْجَاء تَطْرُدُه
مَرًّا تُسَابِقه في الجرِي والشَّجَمِ
فكُلَّ ما انْحدرا في طَلِق شَوْطِهِمَا
تبادرا ماطِراً بالجري كالضَّرَمِ
لا يأمَنَانِ ذئابَ الدّوِّ أو غَرَقاً
إن أغْلَسَا دونَ زُعْرٍ خُرَّقِ التّلَمِ

والخرقُ دونَ بناتِ البيْضِ مُنتهبُ
كما تَنَاهبُ أسْدٌ ثلّةَ الغنم
لا يذخران من الإيغال باقيةً
حتى تكادَ تبينُ الريش عن أُدُمِ
صَذعتُها لِذَرَى عَزٍّ على جملٍ
وهْم يُباري نسيمَ الأيْنُقِ الرُّسُمِ
يشكو الخِشَاشَ ومجرى النّسْعتين إذا
ما شدّه حَشَمِي بالكورِ والولَمِ
لا تُشْتَكَى عَثْرَةٌ مِنْهُ وقد قُطِعَتْ
به المفاوِزُ والفيافي بالسَّقَمِ
كأنه عاسجاً أو واسِجاً أبداً
وثْبُ المُسَحّجِ بين العصرِ والغَسَمِ
أمسى يسوقُ نحائصاً محملجةً
يرعى بهِن فُتَات البَقْلِ في اليَهَمِ
وبينما هو يلْهو في مآكِلِه
من الحناظل والتتُّومِ والعنَمِ
وَالحقْبُ تتْبَعُه في الرّعي لاعبةً
دهراً طويلاً وما سمّغنَ من رَتَمِ
إذْ مقْنِصٌ بين حُقْيِهِ ومركَزِه
أَغْرَى به جوُعاً في القرب عن أكَمِ

فارقَدّ من فَرقٍ بالجَزْي منحدراً
جَرياً تكونُ به الأحجارُ كالرُّمَمِ
وصاحبُ الصيدِ حيَّالٌ لبُغْيَته
ألقَى أبَاهُ بذاكَ الكسب في القدمِ
مقزّعٌ أطلسٌ الأثواب ليس له
إلى الضّرَاءِ وإلاَّ الصيْدَ من نَعَمِ
يُغْرِي مهرّتَةَ الأشْدَاقِ ضاريَةً
زُرْقاً مُخَصّرةً من شدَّةِ الهَضَمِ
كأن راكِبَهُ حقٌّ بمنحدرٍ
تخدِي بها دفَعَاتُ المورِ والرُّكَمِ
يَخْدِي بمُنْخَرِق الأثواب مُنْصَلتٍ
لأجْلِ فَرْطِ ركوبِ الحرّ والشَّهَمِ
أخي تنائِفَ والضُّبَّانِ وقعتُه
كحَسْوِ حقْم على الأنْشَاجِ والذَّلَمِ
هاجت لها جوّعٌ في الأيْكِ ضارِيَةٌ
شواربٌ مِنْ طَوَى الأجْوَافِ والقَرَمِ
من البُزَاةِ طويلاً ما تكركرها
في الأيكِ لطْخٌ من الأمطارِ في الدّيَمِ
والصقْرُ ساجٍ إليها عندما وردت
فبادرتْهَا على الإيغالِ مِنْ أمَمِ

طارت إلى الجوّ والبُزاةُ طالبةٌ
لها على ثَكَمٍ من شدَّةِ الوحَمِ
لا يذخرانِ من الإيغالِ باقيةً
حتى تكادَ تَفرّى الريشُ عن أُدُمِ
يا صاح عُدْ عن بكاك الدهر من كمدٍ
ولا تقولن على ما فات: واندمى
إذ لا ارتجاع لما قد مرّ من زمنٍ
بسفْحِ دمعٍ ولا التّعْدَادِ والثَكَمِ
وسلْ عنه لحوْزِ عالم ورعٍ
غطَمْطَمٍ ملكَ العرباء والعجم
له منازل عِزٍّ مَن ألمّ بها
نَفَتْ عليه قتامَ الذُّلّ والهضَمِ
لا يتّقِي في حذاءِ أرضِهِ أبداً
مَنْ استجارَ به من فَجَأةِ الدّقَمِ
خِرْقٌ توسّعَ للعافين نائلُه
كالجودِ في منَنٍ والبحرِ في هِمَمِ
والعلمُ سيرتُه والزهدُ حرفتُه
والصبْرُ عادتُه عن جفوةِ الوجَمِ
ما إن أتانا بلاءٌ قد وقَفْنا به
على شَفَا اليأس من هوْلٍ ومن عِظَمِ

إلاّ ابـتَـدَرْنـا ذَرَاهُ نَـسْـتَـجِـيـرُ بـه
في صدمةِ الدهرِ أو في خيفةِ الهَشَمِ
كـأن مَـنْ خَشُ رحَـبـاً فـي منـازِلـه
من شِدّةِ الخوفِ في رُكنٍ وملتزم
لـئـن مـدحـتُ كـريـمـاً غـيـرَة أضَـمـاً
لكان معنًى لمعْنَى القولِ والكلِمِ
لـم تُـلْـهِـهِ زَهْـرَةُ الـدنـيـا وبـهـجـتُـهـا
ولا الـتـفـاخُـرُ بـالأمـوالِ والـحـشَـمِ
لـه الـكـرامـاتُ والأحـوالُ شـاهـدةٌ
ذا الـدافِـعُ الـعَـلَـمُ ابـنُ الـدافِـعِ الـعَـلَـمِ
لـو أنـطـق الـلـه وحْـشـاً فـي مـراتِـعِـهـا
لأَخْبَرت بخصوصِ اللُّودِ بالكرمِ
وكـم تـغـيّـر عـنـه جـاهـلٌ سَـفَـهـاً
ومـا تـغـيّـر أقـوالـي ولا شِـيَـمـي
تَغْـسـاً لـمـن قـال إنّـي عـبـتُـهُ حـسـداً
كـبُـرَ مـقْـتـاً عـلـيـه الـوزْرَ مِـنْ دَقَـمِ
قـلـتُ مقَـالـتِـي لا بـالـخـوفِ أو طـمـع
لكن أُحَصْحِصُ قولاً صادقاً بفمي
لـه رجـالٌ كِـرَامٌ لا مـثـالَ لـهـم
لكـنـهـم نـقـضـوا فـي الـعـهـدِ والـذمـمِ

إذ كاشحوا وطن العرباء عن سَفَهٍ
واستوطنوا بلد السودانِ والبَرَمِ
واستأثروه عن الأوطانِ فاتّخذُوا
أعلاجَها بدَلَ العربَاءِ والرّحِمِ
الكاشحون لغدرِ الخِلِّ في حضَرٍ
القائمون له من شِدّةِ العَشَمِ
حتى إذا انصرفوا خاضوا مُعَايَنَةً
في هجْوِه ونَسُوْا وصيّةَ السّلَمِ
وقد سبتْهُم بطونٌ في منازلِهِم
إلى المآكل تحت الروم من بَكِم
يعاقدون لشاماً في بلادِهِمُ
من شدّة الخوفِ أو من قُثْرَةِ الهَضَمِ
وكم أتى القُوتُ دارَ هاجِع خَرِقٍ
كم جائلٍ خابَ في الخروجِ والثّجَم
إن كاشحوا ملكاً خَلاَجِلاً ورِعاً
والعالِمُ العَلَمَ بْنِ العالِمِ العلَمِ
لحوزِ مُلْكٍ يُهانُ من تأثّفهُ
عند الإله من الأعلاجِ والخَدَمِ
فكم رأينا كريماً عالماً جعلتْهُ
دولةُ الكفر والأشرار كالوضَمِ

وكـم مـضَـتْ دُوَلٌ فـي اثـرِهَـا دُوَلُ
وكـم غَـدَتْ أمَـمٌ فـي آخـرِ الأمـمِ
تعصّبَ العارُ بَعْدَ ما جلوا وطناً
بين الأحابيش والعزْبَاء والعَجَمِ
فـقـام سـيْـدُ يـرومُ مـن عـمـايـتـهِ
أن يُكْشِفَ العارُ بالأقوالِ والكَلِمِ
لـن يـقـبـل الـلـه إلا خـالـصـاً أبـداً
مـن الأقـاويـل والأفـعـالِ والـحِـكَـمِ
والـحـقُّ تـصـدقُه الأفـعـالُ عـن أحـدٍ
والـقـولُ تـكـذِبُهُ الأحـوالُ عـن وجَـمِ
كـيـف الـنـجـاةُ لـحُـرٍّ حـافـظٍ سـيَـراً
عـن الـقـرونِ وعـن عـادٍ وعـن إرمِ
وقـد تـبـأبـأ مـن أبـائـه ورِعـاً
سمحاً سديداً على الإسلامِ والذِّمـمِ
مـالـت بـه الـنـفـسُ والأقـدارُ غـالـبـةٌ
إلـى الـفـرانِـسِ مـن ظُـلْـمٍ ومـن أضَـمِ
واستأثر الفخْرَ تحتَ الكُفْرِ عن فَرحٍ
يـوم الـقـيـامـةِ بـالـتـرحـيـبِ والـسَّـلَـمِ
وبـالـتـرفُّـهِ بـالـحـسـانِ فـي غُـرَفٍ
وبـالـتـفـاخُـر بـالأتـبـاع والـخَـدَمِ

وبالتأسِ بالأحباب قاطبةً
وكم هُنالِك من مُنًى ومن نِعَمِ
ويُحَ أمّه مَنْ غدا للقبر في حَرَمٍ
حَوْزِ الطواغيتِ مِنْ حُزْنٍ ومِنْ نَدمِ
سوءُ التأوُّلِ أضلُ كلّ مهلكةٍ
ما قلتُ من شيء في الردعِ بالكلِمِ
والفخْرُ من فاخَرَ الإخْوانَ كُلّهم
بالصبْرِ في العهدِ لا بالنقضِ في الذممِ
وقد تبابا سيدِ عُصبةً ذهبتْ
بسُنّةِ المصطفى والفرضِ والحِكَمِ
لهم شعارٌ شِعارُ المجْدِ مُتّزراً
بجودةِ الحلمِ والأخلاق والشيَمِ
وما رأينا كريماً مثلهم كرماً
التائبين من الآثام واللّمَمِ
تلك الأباءُ لهم أعمالُهُم ولَكُمْ
أعمالُ قومٍ بدَتْ في الحالِ لا القِدَمِ
أمنْتَ يا سيْدِ من مَكْرِ الإلَه كمن
غدا وهاجر دارَ الكفرِ والدّقَمِ
إذْ كُنْتَ تُخْبِرُ مَنْ لاقيتَ من شيَعٍ
أن لا تخافَ من الأنصارِ والهُشُمِ

إذ صِرْتَ في حَرَمِ الإفرنْج متّقِياً
به ومتفخِراً بالنّقْضِ في الذِّمَمِ
مع ذاكَ تزعَمُ أنك في جماعتِنا
بنظْرَةِ العينِ أو بكلمةٍ بفَمِ
والفعلُ يُكذِبُ قول آفكٍ واجِمِ
والحالُ أصدقُ من قولٍ ومن كَلِمِ
هل أنت في نَكَمِ الجُهّالِ عن سفَهٍ
أو ناطقٌ بكلامِ الزورِ للحشَمِ
لو أنّتَ تصدُقُ في فعْلٍ وفي كَلِمٍ
لما استغثتَ بدارِ الكفرِ والبَرَمِ
لأن من لاذ بالمحروسِ منتصراً
كأنه منه بين الركنِ والحرمِ
ولا يهولُه دهْرٌ يدورُ ولا
طردُ الأمير ولا تهديد مصطَلِمِ
فالمخلوقات لديه غيرُ ظاهرَةٍ
من الأحابيشِ والعَرْبَاءِ والعَجَمِ
حيث الجلالةِ مضروبٌ سُرادِقُها
محمدٌ خيْرُ من يمشي على القدمِ
والعرشُ والكونُ والأكوانُ بارزَةٌ
في وجهِهِ في رموزِ اللوحِ والقلَمِ

ذا الكاملُ الحسنِ والبحرُ المحيطُ غِنًى
زاكي المنازِلِ عَالي القدرِ والهِمَمِ
يا من يهاجِرُ دار الكفرِ أو دقماً
من السلاطين من جورٍ ومن أضَمِ
أخرجْ فإن بلاد اللهِ واسعةٌ
فيها مُرَاغمُ ذي ذُلٍّ وذي ألَمِ
أرضاً فأرضاً وإخواناً بمثلِهِم
فالرزقُ أوسعُ في بَحْرٍ وعن يَهِمِ
لا تركُنَنّ إلى كُفْرٍ ولا وطنٍ
فالكفر آخِرُه يأتيك بالنّدَمِ
قد فَازَ من هَجَرَ الأوطان من بِدَعٍ
والخوفُ ممتزِجٌ بلحمِه ودمِ
ولا يصاحِبُ إلا زاهداً ورِعاً
زاكي المناقِبِ في فِعْلٍ وفي شِيَمِ
يا وَيْحَ من كانَتِ الأهواءُ تُسْلِمُه
إلى لوافِحِ نارِ الكفرِ والضّرَمِ
يريد مُلْكاً يُسَاقُ مَنْ تأثّفَهُ
يوم القيامةِ بالأغلالِ واللُّجُمِ
ويلُ أمّهِ من هوانِ الرّهْطِ في سَقَرٍ
وكُلّهُمْ هالِكٌ في زلّةِ القَدَمِ

تأتي العقاربُ والحيّاتُ من فلَقٍ
يلسعْنَه فيصيرُ الحَرُّ كالشَّبَمِ
يُغَاثُ بالمهلِ والصديدِ في عطشٍ
هوْناً ويأكلُ لَحْمَ الجسْمِ مِن هَضَمِ
فلا يَرى الدهْرَ إلاّ ما يخوّفُه
منْ شدّةِ الحالِ والأحزانِ والألمِ
فلا يعدّدُ ما في النار من جزعٍ
وكم هنالِك من هوْلٍ ومن نِقم
ربِّي لنا ولمن ناجاكَ في سحَرٍ
يبكي بدمعٍ على الخدّينِ مُنْسَجَمِ
أغفِرْ فلا أحَدٌ يُرْجَى هنالِكَ في
بيت المقدّسِ في الأهوالِ والهمَمِ
وفي القبورِ وفي جِسْرِ الصّراطِ وفي
جهنّم من شفيعٍ كاشفِ الدّقَمِ
سواكَ ربِّ الورى ومن أذنْتَ لهم
من النبيِّينَ والأبرارِ في الأمَمِ
وللآباءِ وأهْلِ الدينِ كلّهِمُ
بجاهِ أحمدَ خيرِ ناطقٍ بفمِ
أغفِرِ ولبِّ دُعائي بالإجابةِ يا
مُنَزّهِ السّمْعِ عن وقْرٍ وعن صَمَمِ

إن الفقيرَ الكسيرَ الفِكْرِ قد كثُرَتْ
بـه كـبَـائِـرُهُ فـضـلاً عـن الـلّـمَـمِ
كيف النّجاةُ لمن يُمْسِي ويُصْبِحُ في
بـحـرِ عـمـيـقٍ مـن الآثـامِ مُـلْـتَـطِـمِ
إلا بـرحـمـةِ ربٍّ واسـعٍ كـرمـاً
يـعْـفُـو عـن الـذنْـبِ بـالإقـلاعِ والـنّـدَمِ
إن لـم تـقُـمْ بي إلَهي كلما اعترَضَتَ
لِيَ المصائِبُ لم أخْلُصْ من الوخَمِ
فامنُنْ عليّ بلُطفٍ مِنْكَ يا أمَلِي
يا من يُصَرِّفُ ما يشاءُ في الأُممِ
وكم دعوتك في الظلماء مبتهلاً
والـخـوفُ مـمـتـزجٌ بـلـحـمـنـا ودَمِ
من أجلِ ذنبٍ يهول مَن تكَرْكَرَهُ
بـكـثـرةِ الـرّدِّ بـالأفـكـارِ والـهِـمَـمِ
أجِبْ دُعانا ولا تَشْمِتْ بنا أحداً
بـجـاهِ مـن جـاءَ بـالـقـرآن والـحِـكَـمِ
عالي المناقِبِ في فِعْلٍ وفي شِيَمِ
مـحـمـدٍ خـيـرَ خـلـق الـلـه كـلِّـهِـم
منّي الصلاة على أنوارِ رَمْسِكَ ما
ترنّمَتْ ساجعاتُ الحقْمِ بالنّغَمِ

* * *

قصيدة الشيخ أحمد البكاي الكنتي

يـا صـاحِ عُـجْ بـالْـجِـمَـالِ
عـلـى الـربـوع الـبـوالـي
ديـارَ سـلـمـى قـديـمـاً
مـن الـلـيـالـي الـخـوالـي
غـيـداءُ جـيـداءُ رؤْدٌ
كـالـشـمـسِ عـنـد الـزوالِ
والـنـجْـم عـنـد الـتـسـامـي
والـبـدر عـنـد الـكـمـالِ
تـجـلـو ثـنـايـا عِـذابـاً
كـأنـهُـنّ لآلِ
كـأنـمـا الـمـسـك فـيـهـا
أو نـفْـخـةٌ مـن غـزالِ

بـقـرقَـفِ إضْـفـعـيـدِ
صِـــزْفِ سُـــلافِ زُلال
أو أن فـيـهـا إذا مـا
تـبـسّـمـتْ فـي إنْـكـلالِ
لَـمْـحـاً ولَـمْـعـاً لـبـرْقِ
فـي جُـنْـحِ الْـيَـلَ طـالِ
مـن خَـلْـفِ لُـغْـسٍ ظِـمـاءِ
تـجـري بـعـذبٍ زُلالِ
لَـمَـى عـلـيـهـا لـذيـذٌ
يَـحـفُّـهـا مـن حـيـالِ
تـرنـو بـعـيـنـي غـزالِ
وجـيـد أمّ غـزالِ
مـن تـحـتِ فـرْعٍ أثِـيـثٍ
وخْـفٍ غُـذافٍ جُـفـالِ
يُـقِـلُّـهـا غـصـنُ بـانٍ
تَـهـفـوهُ ريـحُ شـمَـالِ
عـلـى نـقـاً مـن كـثـيـبٍ
فـي عـوكَـلٍ ورِقـالِ
تـلـك الـتـي تـيّـمـتْـنـي
فـي صـبْـوتـي واكـتـهـالـي

وهـي الـتـي هـيّـمـتـنـي
فـي صـحّـتـي واعـتـلالـي
تَـسْـلُـو الـنـفـوسُ هـواهـا
فَـلَـسْـتُ عـنـهـا بـسـالـي
وإن خَـلَـتْ مِـنْ جَـوَاهَـا
فَـلـسـتُ مـنـهـا بـخـالِ
تُـحِـلُّ قـتـلِـي بـهـجْـرٍ
إذْ حـرّمـتْ لـي وصـالـي
ولـيـس ذا بـحـرامٍ
ولـيـس ذا بـحـلالِ
جَـنَـتْ عـلـيّ حـروبـاً
شـيّـبْـنَ فـيـهـا قـذالـي
لـم أجْـنِـهـا غـيـر أنـي
بـحـرّهـا الـيـوم صـالِ
يـلـومـنـي فـي هَـوَاهَـا
مَـنْ حَـالَـه غـيـر حـالـي
يـريـدُ عـنّـي حـيـاتـي
ونُـزْهَـتِـي بـانـتـقـالِ
فـكـيـف أهـجـرُ نـفـسـي
وكـيـف أَفْـصِـلُ بـالـي؟

لا: مـا يـريـدون مـنّـي
فـي ذاكَ غـيـر الـمُـحـالِ
لا أرعـوي عـوضُ عـمّـنْ
أفـدِي بـنـفـسـي ومـالـي
ومـن أرى عِـذلَ نـفـسـي
ولـي يـمـيـنَ شِـمـالـي
أودُهـا وأحـيِّـي
وأصـطـفـي وأُوالـي
لـكـنـهـا لا تُـجـازي
بـالـوَصْـلِ غـيـرَ فِـصَـالِ
ولا تـرى لـمـحـبٍّ
فـي الـحـقّ غـيـر مـلالِ
مـحـبُّـهـا وأخـوهـا
ولِـيْ كـذا لا تُـبـالـي
ولا تَـرِقُّ لِـشَـكـوي
ولا تَـحِـنُّ لـحـالـي
ولا تـردُّ سـلامـي
ولا تـجـيـب مـقـالـي
ولـم تُـعـطّـفْ لـدائـي
ولـم تُـصِـخْ لـسُـؤالـي

حسبي لنفسي شقاءً
من كل داءٍ عُضالِ
مديحُ أكرمِ عبدٍ
لربِّه ذي الجلالِ
محمدٍ خيرِ خلقٍ
في رِفعةٍ وكمالِ
اختصَّهُ الله عبْداً
في القَبْل قبل الأوالِ
وجاء في البغْدِ شيخاً
وسيِّداً للرّجالِ
به نلوذُ جميعاً
في كُلِّ خطْبٍ جُلالِ
يقومُ يوم التنادي
مقام حَمْدٍ مُوَالِ
في هولِ تلك المجالي
في عُظْمِ ذاك المجالِ
مكلِّماً وشفيعاً
لربِّه المتعالي
رياسةٌ قام فيها
أبا العلاء المعالي

مِـنْ بـعـدِ مـا أسـلَـمَـتْـهـا
إلـــيْـــهِ أهْـــلُ الـــفَـــعَـــالِ
مـــــن آدمٍ ثـــــمّ نُـــــوح
إلـــى هَـــلُـــمّ تَـــوَالـــي
فـيـكـشِـفُ الـلـهُ عـنـهُ
حـجـابَـه لـلـوصـالِ
يـقـول: قـل مـنـك يُـسْـمَـعْ
وسَـلْ تـنَـلْ فـي الـسـؤالِ
واشْـفَـعْ تُـشَـفّـع ألاذا
أعـلـى مـقـامٍ لـعـالِ
وذاكَ أعْـظَـمُ فـخـراً
وذاكَ أسـنـى مـنـالِ
وكـــان أســـري إلـــيـــه
فـي لـيـلـةٍ مـن لـيـالِ
وجـاز فـيـهـا ارتـقـاءً
سبْـعَ الـطـبـاقِ الـعـوالـي
يـلـقـاهُ كـل نـبـيٍّ
ومـلأكٍ بـاهـتـبـال
بـكـلّ رحْـبِ اعـتـزازٍ
وكـلّ بِـشْـرِ اقـتـبـالِ

حتى مضى فوق موسى
فقال والدمْعُ جالِ
يا ربُّ هذا غلامٌ
وحالُه فوق حالي
ثمّ استمرّ رُقِيًّا
جبريلُ فيه يوالي
لمستوًى لم يصلْهُ
من قبْلِه ذو اتصالِ
حتى دَنَا فتدلّى
فكانَ بَعْدَ التّعَالي
في قابِ قُرْبِ التجَلّي
من قوسِ قُدْسِ الجمالِ
أوحى إلى عبدهِ ما
أوحى بذاكَ القُبالِ
فَنَالَ ما نالَ مِنهْ
من كُلِّ نوْلٍ ونالِ
أعظِمْ به من منالِ
أكرم به من نَوالِ
ما ليس يَبْدُو لعينٍ
وليس يجري بِبَالِ

ثـم انـثـنـى خـيـرَ عـبـدِ
مـن عـنـدِهِ فـي جَـلالِ
مُـكَـرَّمـاً مُـتَـوَلّـى
بِـحُـبِّـه والـخِـلالِ
وجـاء مـنـه رسـولاً
بَـرًّا أمـيـن الـمـقـالِ
يـتـلـو كـتـابـاً عـزيـزاً
مـنْـهُ عـجـيـب الـمـثـالِ
فـيـه هُـدَى كُـلّ شـيءٍ
وعـلـمُـهُ عـن ضَـلالِ
نُـوراً مـبـيـنـاً وفـصـلاً
لـكـلّ خـافٍ وجـالِ
نُـغـمَـى لـقـومٍ وقـومٍ
عـلـيـهُـمُ كـالـنـكـالِ
أتـى بـخـيـر كـتـابٍ
بـخـيـرِ حُـكـم بِـحَـالِ
مـن ربّـه الـمـتـعـالـي
مـولايَ خـيـرِ الـمـوالـي
سـبـحـانـه وتـعـالـى
مـن واحـدٍ مـتـعـالِ

فـتـابَـعُـوه فـريـقٌ
مـن خـيـرِ قـومٍ وآلِ
وخـالـفُـوه فـريـقُ
إلـى الـوبـا والـوبـالِ
فـردَّ مـن صـدَّ مـنـهـم
مـن كـلِّ عـالٍ وغـالِ
بـالـقـهْـرِ والـقَـسْـرِ حـتّـى
ذلُّـوا لـه بـاعـتـمـالِ
بـالـضـابـحَـاتِ الـعَـوادي
والـضّـابـئَـاتِ الـعـوالـي
والـمـرهـقـاتِ الـمـواضـي
والـمـرهـفـاتِ الـنـصَّـالِ
بـكـفٍّ ابْـيَـضَ أقْـنَـى
مـن هـاشـمٍ كـالـهـلالِ
فـي مـنـتـهـى كُـلِّ حُـسْـنٍ
وكـلِّ حـسـنِ جَـمَـالِ
يـقـدُمُـهُـمْ بـقَـنـاهُ
فـي الـحـرب قـدَّ الـنِّـعـالِ
كـأنّـهـم مـنْـهُ خـوفـاً
ورهـبـةً فـي الـقـتـالِ

أمـــات رالٍ دهـــاهـــا
لـــيـــثٌ فـــنـــدّتْ بَـــرَالِ
يـغـزيـهـم خـيـر خـيـلٍ
جُـــردٍ وخـــيـــرَ جِـــمَـــالِ
مـــنـــهـــم فـــتـــاهُ عـــلـــيٌّ
وجـــعـــفـــرٌ خـــيـــرُ آلِ
والـلـيـثُ حـمـزةُ مـنـهـم
إلـــى الـــهـــمـــام بـــلالِ
إلـــى إلـــى كـــل لـــيـــثٍ
ضـــرغـــامـــةٍ ذي شِـــبـــالِ
مـجـرّب فـي الـمـغـازي
مـحـرّبٍ فـي الـنـضـالِ
مـجـانـفٍ فـي الـتـلاقـي
مـجـانَـبٍ فـي الـنّـزَالِ
إذا الـحـروبُ تـصـدّتْ
لـعـيـنـهِ فـي اشـتـعـالِ
ونـارُهـا فـي اسـتـعـارٍ
وجـارُهـا فـي اشـتـغـالِ
يـنْـبَـاعُ كـلَّ انـبـيـاعٍ
يـخـتـالُ كـلّ اخـتـيـال

سيراً إلى الموتِ قدماً
سير ظِماءِ الحِجالِ
مشياً إلى الحرب قُبْلاً
مشيَ الجِمَالِ الثقالِ
يرى رضى اللهِ فيها
بنفْسِه غيرَ غالِ
يسمو على كلِّ نهدٍ
قهدٍ سلوفِ القذالِ
عوج اللّبَانِ طِمِرٍّ
طِرْفٍ شناحٍ طوَالِ
في كفِّه مشرفيٌّ
كالمِلحِ صافي الصّقَالِ
عضْبٌ حُسَامٌ خُفافٌ
ماضي الضريبةِ خالِ
فشدّ إصراً وأسراً
للدّينِ بعد انحلالِ
وردّ ابليسَ قهراً
ودينَه لانفِصَالِ
وأمْرَهُ لانسِلاخٍ
وجُنْدِه لانسِلاَلِ

وأمـــــرَه لانـــــخـــــزالِ
ونـــضـــرَهُ لانـــخـــذالِ
تـــدبـــيـــرَ عـــبـــدٍ نـــبـــيٍّ
بـــديـــنِـــه مـــتـــبـــالِ
لـــــربِّـــــه مـــــتـــــولٍّ
لـــنـــصـــرِهِ مـــتـــوالِ
قـــد بـــشّـــرَتْـــنـــا بـــهـــذا
مـنـه الـقـرون الـخـوالـي
فـــي كـــلِّ عـــصـــرٍ وقـــومٍ
ذكـــرٌ لـــه غـــيـــرُ بـــالِ
يـــتـــلـــوه كـــلُّ نـــبـــيٍّ
لـــكـــلِّ تـــالٍ وتـــالِ
هـــذا وقـــد كـــان فـــيـــنـــا
وهـــــابَ مـــــالٍ ونـــــالِ
أجـــدى وأجـــودَ كـــفّـــا
مـــن وابـــل مُـــتَـــتَـــالِ
جَـــوْنِ الـــرّبَـــابِ رُكـــامٍ
جـــوْدٍ مـــسـحِّ الـــعـــزالـــي
أعـــطـــى مـــن الإبـــل ألـــفـــاً
ونِـــصْـــفَـــه غـــيـــرَ كـــالِ

فـــي بـــعـــضِ يـــومٍ ولاءَ
أو فـــردِ يـــومٍ بـــطـــالِ
مـن كـومِ عـيـسٍ هـجـانٍ
ســـلائـــبٍ ومـــتـــالـــي
إلـــى ســـوى ذاك مـــمّـــا
لـيـسَـتْ تـعـدُّ الأمـالـي
مـــا قـــال: لا قـــطُّ لـكـن
بـــذلٌ بـــغـــيـــرِ مِـــطَـــالِ
عـطـاء مـحـضٍ كـريـم
مُـحـضِ الـعُـلا والـطِّـيـالِ
يـا سـيـداً لـيـس يُـحْـصـى
مـديـحُـهُ فـي الـمـقـالِ
ولـم يـكـن فـي الـبـرايـا
كـمـثـلِـه مـن مِـثـالِ
إيـــاكَ حـــمـــدَكَ أعـــنـــي
بـــمـــدحـــتـــي وســـؤال
ومـنـكَ أطـلـبُ سُـؤلـي
فَـبُـلِّـغـنِـي بـبـلالـي
فـلـيـس مـثـلـك خـلـقٌ
فـي الـحـالِ أو فـي الـمـثـالِ

حتى تعَمّ جميعي
منكم بأسنى نوَالِ
في كلُّ خيرِ مرادٍ
وكلّ نول نوالِ
يا ربّه اجعل به لي
وسيلةً لاتصالي
يا ربّ صلّي وسلّم
على النبيّ وآل
ما ألّ بارِقَ غيثٍ
وانهلّ وادقُ خَالِ
الحمدُ لله ربّي
ذي العزة المتعالِي

* * *

قصيدة الشاعر سيدي عبد الله
ولد أحمد دام(*)

أصابتْ بيَ الأيام أيْمَا وأيْمَا
فيا هيْمَا لي من نوايَ وهيْمَا
نشأتُ بأرضٍ لا أودّ بأهلها
أعزُّ أُناسٍ في البلاد وأكرما
وها أنا أسعى بين ناسٍ تخالني
لديهم إذا خاضوا الأحاديث أبكما
خليليّ ما ضاق الصدور لغربةٍ
كغربةِ بادٍ لا يرى غير أعْجَما
ولا التهبت ذكرى صديقٍ كماجِدٍ
تُعَدُّ لديه ريبة الخِلّ مأتما

(*) توفي الشاعر عام 1854.

يَرُدُّ على النَدمانِ بالكأسِ مثلَها
وأيّ مجالٍ خُضْتَ فيه تقدما
ألهفي على أمثالِ ذاك وإن لوى
بهم زمنٌ قد عزّ أن يتصرّمَا
ألهفي على كل ابن بيضاء حرة
إلى واضح الخدّين يُنمى إذا انتمى
ذكيّ الحجا حلو الشمائل لم يكن
بليداً إذا خيض الحديث تَلَعْثما
ولا طائِشاً من نَوْكِه ليس يهتدي
إلى أين يرمي ذو النّباهةِ إن رمى
ولا ذا لجاجٍ لم تكد لشقاقه
وإن لم تقل إلا سلاماً لتَسْلمَا
فهذا الذي ما شاب شوبٌ خلاله
سقتني النوى في نازحِ الأرضِ علقمَا
عليّ إن أدانيَ الأهلَ سالماً
إلٰه الورى إطعام ستين مسلما

* * *

قصيدة الشاعر سيدي عبد الله
ولد احمد دام

ألا ليت شعري هل أراني بجيرة
تضمنها من موحشات الفلا نبْكُ
متى شئت مرأى الربرب العين عنّ لي
ولم يُبْدِ للعينين قصرٌ ولا فلك
وهل يطرب السمع الأذان وقد نأت
نواقيس منها كادت الأذن تَسْتكُ
وأعناق موشي البروج مشيدٌ
طبأ اطربونا منه ما رفع السمك
زخارف تهوى أن ترى العين منظراً
سواها ويطبو حرصها النفس والترك

أيا رب أخرجني من القرية التي
تظاهر فيها جحد رسلك والشرك
لحاجة مقضي اللبانة مسلم
فإنك رب العزة الفرد لا شك
فيا رب هل إلا لك المجد والغنى
دواماً وهل إلاّ لك العزُّ والملك
فيسِّر وعجّل من قضاء ليانتي
وبارك فكم أشكيت قبلي من يشكو

* * *

قصيدة الشاعر محمذن الفغ الجكني(*)

واهاً لمرضى رهانٍ في سجلماسي
نائي المؤانس والعوّاد والآسي
واهاً لها من حشاشاتٍ يساوقُها
تنوا جسوم إلى تصعيد أنفاسِ
ومن عظامٍ وأشلاءٍ ممزقّة
كأنما لبثت حيناً بأرماس
ما كان أطول أيام على حسنٍ
وصحبةٍ ظللتها منهم على ياس
كأنما شربوا فيها وما شربوا
عصارة الكرم بيسان أوراس

(*) هذه القصيدة قالها الشاعر في وفد الحجيج الشنقيطي الذي أصيب بمرض الجدري عند مروره بالمغرب.

صهباء طاف مهينم اليهود بها
دبّابة في عظام الظهر والراس
سقاهُمُ الجدري كأساً بها شرقوا
تفديهم النفس من شرب على كاسِ
من كل جَلدٍ على الضّرّاء مصطبرٌ
يقسو إذا لان من ضُرائه القاسي
يصحو المريض وينسى من معاهِدِه
يوماً وما هو بالصاحي ولا الناسي
تهتز منهم ذماءٌ كلما سجعت
خطباء تبعث ما يألو له الآسي
تبكي لها أخر أبدانهن كما
خط الزبور يهوديّ بقرطاسِ
يا بُعْدَ منهم حلُولٌ قاطنين على
عدّ تحفّ بدور منه أدراس
أرسوا على كل نجد من محاضره
خيماً مثابة أضيافٍ وجلاّس
يلقون للضيف ما ألقى مراسيهِ
منها مراسي أوتادٍ وأمراس
حتى تهبّ عن أيسارِ الخيام صباً
تنحلُّ منها عزالي كل عرّاس

حتى إذا انجدل العامي وانتسجت
من وارقِ النبت أجناسٌ بأجناس
حلُّوا عوالي أنجادٍ على نُطف
زرقٍ دموع ملكْ الودق وجّاس
ما زال من معصرات الدلو يسكبها
على الأباطح فيضاً غير إبساس
على بطاحٍ فلاةٍ لا أنيس بها
إلا مراويد آرامٍ بأكناسِ
ترتاح مغزلة منها لمغزلةٍ
من أم درّاح أو من أم خنّاس
كأنّهُنّ عذارى بين أحوية
ترتاح منهن ميناسٌ بميناسِ
حتى غدت مثل حجر الضب واحتملت
منها السيول جماهيراً لأجناس
وأضمرت نُطَفاً منهن وابتسمت
عن ثغرِ كل شنيب الثغر نوّاس
كأنه وندها منه منتشرٌ
زجاجةٌ نُشِرَتْ من زيت نبراس
أحوى أغر تحاماه الرماح فلا
يدعو النفوس له تزيين وسواس

إلا ظعائن من جاكان ترتعه
لا عن ذمام ولا تجساس أحراس
لا بل مهابة ساداتٍ إذا اختلفَت
أهل النوادي وآسادٍ لدى الباس
غيظ العدى ورضى المستنجدين إذا
هبّت رياح الصّبا إدبار عسعاس
تغدو عليها المتالي من منازلهم
نثر الدراهم من أفواه أكياس
شولٌ تريع إلى بيضٍ معطفة
طي الأهلّة في ألوان كراس
سودٌ حقائبها من طول ما نضجت
منها توالي أبراجٍ وأقواسِ
وترتعيه حواليها مؤيّلة
من الهنيدات لا أذواد مفلاسِ
فيها الحواني وأمّات الرباع سدًى
لا من صرارٍ ولا من زجر بسباس
كومٌ تروح وتغدو فيه من كثب
تأوي إلى خيمَ أرفاضٍ وسُوّاس

* * *

الشاعر ابن أحمد يوره(*)

قف بالربوعِ التي بالخط أدراسا
لا عار في وقفة فيها ولا باسا
تهدي إلى ذي الهوى من نشر ساكنها
بعد التقادم أنفاساً فأنفاسا
كانت سروراً وأمست وهي محزنة
والدهر من صرفه ما سر إلا سا
لا تعذلوني وواسوني بأدمعكم
فأفضل الصحب عند الخطب من واسى
وأظلم الناس من يهدي الملام إلي
من لم يقاس من الأشواق ما قاسى

(*) ديوان أحمد يورة، مخطوطة مكتبة المؤلف.

من لـمْ يَرَ الـخط مـمطوراً وساكنه
فـإنـه مـا رأى الـدنـيـا ولا الـنـاسـا

* * *

الشاعر ابن أحمد يوره

يا صاح هذا غراب البين قد صاحا
وكاد يفصح بالتوديع افصاحا
واصبر الناس من رامت أحبته
فينا فما وال من شوق وما واحا
أقول للبرق بعد النوم إذ لاحا
يحدو ركاماً هزيم الودق سمّاحا
يا برق غادِ خيام اللاء عن كثبٍ
يردن ماء لدى (السياح) سيّاحا
فيهن من تيمت قلبي بمبسمها
فصار يعتقد الإفساد اصلاحا
وقلت للريح إذ هبّت على مهلٍ
تهدى نسيماً بريّ الوردِ فوّاحا

يا ريح أحييت أرواحاً ولا عجب
فـربـمـا أحـيـت الأرواح أرواحـا

* * *

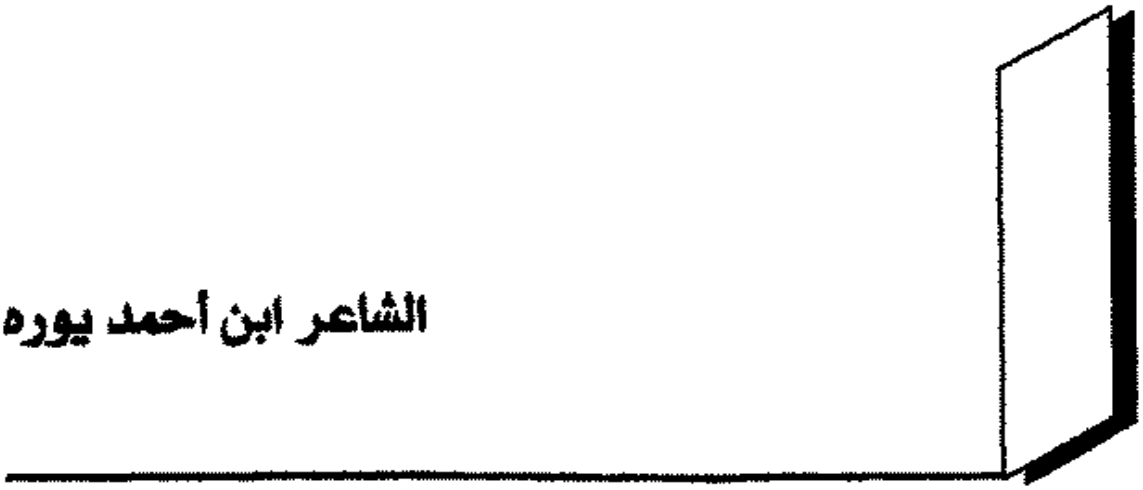

الشاعر ابن أحمد يوره

بكاء حمامات تغنين بالأمس
يرد قلوب المرعوين إلى (الدكس)
بكين لأيام بكيت لمثلها
فأصبحن من جنس وما هن من جنسي
يذكرنني عهداً قديماً ومعهداً
أحب إلى نفسي لياليه من نفسي

* * *

الشاعر القاضي محمد يحيى بن محمد الدنبجة(*)

سقى مربع العوجاء أرمية غزر
وإن يك من عرفانه عزب الصبرُ
عرفنا بقايا آيه بعدما جرت
وجرّت عليه الذيل صيّفَة كَذْرَ
رعى الله أهلاً قد تصرم ودهم
وروّى بلاداً قد أقاموا بها القطر
ولا زالت الأزهار تنمو على الربا
إلى أن تروق العين أزهارها الخضر
وقفت به العيس المراسيل برهة
أسائله أين الملاعب والعصر

(*) بحث عن الدنبجة، جامعة أنواقشوط.

فصعّد أنفاسي بقايا رسومه
وأجرى دموع العين انجادّه الحصْرُ
وما كنت أحجو أن تثير بلابلي
ديارٌ محيلاتٌ ولا منزلٌ قفرُ
إلى أن أثارت فارط الهم والأسى
ديارٌ محيلات تضمنها الكدر
ديارٌ بها تصفو المودة والصبَا
وأيامها بيضٌ تجلى بها الدهر
غنينا بها لا نختشي الغدر والجفا
ولكنها الأيام ديدنها الغدر
سقاني هواها الصّاب والصبر أزمناً
يَلذ بها صاب الصبابة والصبرُ
فهل بعد طي الدهر نشر وصالها
وطول أطّلابي ما عهدت بها نشرُ
يقول خليلي ما تعانيه من أسى
وبثٌ تخلّص منه يصفُ لك العمر
ودع عنك وصف الغانيات فإنه
يثير أموراً قد يضيق بها الصدر
ولا تك مرتاحاً بريحانة الظبا
ودمية محراب لها بشر نضر

ولا تطرها وصفاً فإن زمانها
تقضّى ولم يُقْبَل من المعذر العذرُ
فقلت له إني جدير بوصفها
ويقصر عن أوصافها النظم والنثر
فما عذبات البان أخضلها الندى
وريح الخزامى واليلنجوجُ والخمر
باطيب منها آخر الليل نكهة
أو أعذب من رشقٍ لها ضمه الثغر
ولا الفنن الغض النضير يفوقها
بهاءً ولیناً يوم أسلمها الخذر
لها من ظباء الرمل جيدٌ ومقلة
ومن بابلٍ ما ضرنا قبلها السحر
ولا ليل إلا ليل فرع سراجه
جبين عراني من ملاحته الذعر
ولكنما الحسناء مية صدني
عن أوصافها المختار طه الهدى البر
جزيل الندى رحب الجنان إذا دهى
من الدهر داءٍ منه ينكسر الصخر
فحقُ له في الوصف من كل واصف
ولكنما الأوصاف مسلكها وعر

وما هي إلا لمحة البرقِ شامها
شآم فهاجته سحائبها الغر
فلم يحكه المرجان والدر بهجة
ولا لؤلؤ الغوّاص والذهبُ النضرُ
هو العروة الوُثقى هو الجود والجَدَا
وما صدّه عن هديه المنتقى مجر
وأرسله الرحمن للخلق رحمة
بشيراً نذيراً فاضمحل به الكفر
عليه إلٰه العرش أنزل ذِكره
وقال له بلّغْ وأيّده الذكر
وقد بلّغ الهادي الرسول رسالة
من الله مأموراً بها زانها الشذر
وبيّن أحكام العبادات كلها
كحكم صلاةٍ أو زكاة إذا تعرو
وصوم وحج والقواعد كلها
وما يقتضيه النهي منها أو الأمر
فلولاه لم تخرج نتائج فكره
وما عُلِم التقسيم والعدل والكسْرُ
ولا قصر إفرادٍ تبيّن حكمه
ولا قصر تعيين به عُيِّن القصر

وما علم المنطوق نصًّا وظاهراً
ولا اللحن أو فحوى الخطاب ولا الحصر
وما علم التجويد زيد بن ثابت
ولم يكثر التحديث في صحبه الحِبر
وما اختص في فهم القضايا وفصلها
أبو حسنٍ نعم الإمام الرضا البحر
وما علم المرجوح والراجح الذي
تكون به الفتيا إذ قدّر الأمر
فسائل به بدراً حُنيناً وخيبراً
وسائل بطْه الفتح إذ جاءه النصر
يخبرك عن طٰه حنين وخيبرا
وتخبرك عن طه وأصحابه بدر
هنيئاً لطه يوم بدر وحزبه
لدن قاد جيش الكفر نحوهمُ عمرو
فمد بآلاف الملائك يومه
يقودهم جبريل سيماهُمُ زُهر
وكان به بشر وبشرى لديننا
ولم يبق للسبعين من جيشهم ذكر
ومن جيشهم سبعون أسرى فلم يزل
بهم يستحن القتل بالسيف والأسر

وفي أُحدٍ سبعون نالوا شهادة
من أصحاب طٰه حبذا النفر العفر
فمنهم شهيد الله حمزة عمه
أعدّت له أثواب سندسه الخضر
وسائل به الأحزاب لما تألبوا
على شرهٍ واحتد منهم له الشرُّ
فضاربهم في الزحفِ كل مدجج
تُدين له الأعداء خالية سمْرُ
وإطعامه ألفاً بخبزة جابر
من أعظم اعجاز يحار به الفكر
وضربتُه الصخْر الذي صار أهيلا
بصعواه في خندق أمرها أمر
وقد قاتل الأعداء آل قريظة
فتم له عند المكافحة الأمر
وحكّم في أبناء مُضطَلَق الظُّبَى
وفاجأهم جيش يلين به الصخر
وطاف بأهل الطائف الغدر فارعووا
عن الغيّ حتى لم يكن منهم غدر
وحاصر أبناء النضير لغدرهم
وأجلاهُمُ عن طيبة أنهم غُدر

وإن كان فيها أعجب الحمق كثرهم
فلم يغن شيئاً عنهم ذلك الكثر
وقرر صلحاً بالحديبية التي
بها تمّ نصر الله واستكول الأجر
وأنزل فيها الله سورة فتحه
وفي بيعة الرضوانِ من قبلها سرُّ
وقد نصر الله الرسول بفتحه
لمكة حتى لاح من ليلها فجر
وسارقةٍ فيها أتته وحدُّها
بقطع يدٍ فالحد من ذنبها جبر
إقامة طٰه الهاشمي وصحبه
بمكة بعد الفتح أيامها عشر
ويوم حُنين لم يفِر نبيّنا
لدن رشقته من هوازنة السمر
فشن عليهم حملة هزموا بها
وولُّوا على الأحقاب يحدوهم الذعر
ونادى بأعلى صوته فأجابه
ليوث من الأنصار يوم الوغى صُبر

وسُمّت له شاة بخيبر أعطيت
له من ذراع الشاة قد جاءه الخيْر
وقد نال منها نهشة أثرت على
ثناياه فالله الحفيظ له البر
وقد قُتلت تلك اليهودية التي
بأكلتها قد مات صاحبه بشر
إذ اختاره الرحمن من آل هاشم
كما قد روى الطّبران في الأوسط الصدر
وهاشم من نضر تخير شخصه
كما اختير تحقيقاً من العرب النضْرُ
كما اختير من أبناء آدم عربهم
ومن خلقه أبناء آدم ذا الأثر
فكان خياراً من خيار فحبهم
بحب رسول الله أمرٌ له جذرُ
وأبغضه من أبغض العرب الذي
له مبغض لا شك مرجعه كفر
وأنت الذي في الذكر أثنى إلهُنا
عليك فلا نظم يفيد ولا نثر

ألا يا رسول الله أنت شفيعنا
لدى الله يوم الحشر إن عمّنا الحشر
وأنت الذي أعطيت حكماً وحكمة
وأنت إمام المرسلين وذا فخر
وأنت الذي أبقيت فينا شريعة
مطهرة بيضاء وسعى له الصدر
تمثل آداباً وأخلاق أمة
وصدقاً وبراً حبذا الصدق والبرّ
وعدلاً وإحساناً وأحكام أسرة
وما يقتضيه الحِل منها أو الحظر
مدحتك يا خير الأنام وحاجتي
تُزال به عني الجهالة والخسر
وتنقاد نفسي بالعناية للتقى
إذا طمحت واغتالها الجهل والفقر
وإن كنت ذا جرمٍ ووزرٍ فإنما
بمدحك تنحطُّ الجريمة والوزر
فذي بنت فكر تبتغي المهر منكم
مبتلة حسناء فتانة بِكْرُ

فزُمّت عن الأكفا سِواكم تكبّرا
ولم ترض إلا أن يُساق لها المهر
لتطلب مهر المثل منكم ومهرها
شفاعتكم والفوز إن ضمني القبر
وإصلاح قلبي والسعادة في غدٍ
وفوزي برضوان من الله والستر
سلام على المختار ما هبت الصبّا
وما غرّدت ورقاء وما طلع البدر

* * *

الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي(*)

سرت الجنوب ولاح لي برق
صوت الخليج فعادني أرق
يخفو فيطربني وليس سوى
خفق الفؤاد كخفقه خفق
فكأنما تحدو بوارقه
خيل تجول جَلاَلُها بلق
قد لاح مستحراً فقلت له
رأس الذريع أيها البرق
فاشق المقيلة فالطويلة فالإ
فلاج حيث تصرم العرق

(*) كتاب الوسيط في ترجمة أدباء شنقيط للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

جـاد الـذريـع ذو جـدّى هـمـرّ
يـــرويـــه لا رنـــق ولا طـــرق
يـــا حـــبـــذا دوح الـــذريـــع ذي
الـظـل الـظـلـيـل ورمـلُـه الـبـلـقُ
بـــل حـــبـــذا عـــيـــنٌ تـــقـــيّـــلـــه
بـيـض الـتـرائـب خـرّدٌ عُـتـق
يـعـكـفـن ضـحـواً فـي مـكـانـسـه
فـطـريـقـهـن لـفـيـئـه دعـقُ
حـتـى إذا مـا الـشـمـس قـد جـنـحـت
واجـتـاب جـلـبـاب الـدُّجـى الأفـق
رجـعـت تـجـرُّ الـرّيـط رائـحـة
لـلـطـيـب مـن أردانـهـا عـبـق
وتـروح عـائـشُ بـيـنـهـن كـمـا
قـد ذرّ بـيـن سـحـائـبٍ شـرقُ
رقـــراقـــةٌ جـــيـــدانـــةٌ أنـــفٌ
لـلـزعـفـران بـنـحـرهـا شـرق
لـم تـعـدُ عـشـراً واثـنـتـيـن مـضـت
وسـحـابـهـا عـن تـربـهـا الـعـتـق
تـجـلـو ثـمـانـاً هـل رأيـت بـنـا
تِ الـغـيـث ويـك لـظَـلـمـهـا بـرق

وكـأن ريـقـتـهـا إذا وسـنـت
صـهـبـاء أنـحـل جِـرْمَـهـا الـصـفـق
وكـأن ريّـاهـا إذا نـشـأت
نـشـر الـخـزام جـلابـهـا الـودق
أبـصـرتـهـا مـغـتـرة فـكـأن
هـثـكُ الـتـقـاف مـعـابِـلٌ زرقُ
راحـت ورحـت سـلـيـمـةً وصـبـاً
أو مـثـل مـا مـن يـفـعـلِ الـعـشـقُ
إن لـم يـكـن سـعـد الـسُـعـود إذاً
فـلـه الـسـعـودُ جـمـيـعُـهـا أفـق
كـم دون عـائـش قـد تـعـرّض مـن
فـجٍّ تُـصـيـب أفِـجّـه عـمـقُ
هـل تـبـلـغـنّـي دارَهَـا أُجُـدٌ
زيّـافـةٌ فـي مـشـيِـهـا خُـرْقُ
تـغـتـال أعـمـاقَ الـفـجـاج إذا
أَمـسـى تـغـوّل غَـوْلـة الـخـرق

* * *

الشاعر امحمد بن محمد بن المختار بن الفغ موسى اليعقوبي المعروف بابن الطلبة(*)

تطاول ليل النازع المتهيج
أما لضياء الصبح من متبلج
ولا لظلام الليل من متزحزحِ
وليس لنجمِ من ذهابٍ ولا مجي
فيا من لليلٍ لا يزول كأنما
تُشَد هواديه إلى هضبتي أجِ
كأن به الجوزاء والنجمَ ربربٌ
فراقدها في عُنّةٍ لم تُفَرّجِ
وتحسب صبيان المجرةِ وسْطَها
تناوير أزهارِ نبتن بهجهج

(*) كتاب الوسيط.

كأن نجوم الشعريين بملكها
هجائن عقرى في ملاحب منهج
فبات يُماني الهم ليلي كأنه
ببرحِ مُقامِ الهمّ في أضلعي شجِ
فلو كان يفنى الهمُّ أفنى مِطالُه
همومي ولكن لَجّ في غير ملجج
إذا ما انتحاها مِنْهُ قطْعٌ سمت له
أفانينُ همٍّ مزعجٍ بعدَ مزعجِ
أعنى على الهمّ اللجوج المهيّج
وطيفٍ سرى في غيهبيّ مُدَجْدَجِ
سرى يخبِطُ الظّلماءَ من بطن تيرسٍ
إليّ لديّ ابريبير لم يتعرّجِ
فلم أرَ مثل الهمّ همًّا ولا أرى
كليلة مسرى الطيف مُذلِجَ مُدلِجِ
وذكرة أظعانٍ ترتّعْنَ بالسِّوى
لوى الموج فالخبتين من نعق دُوكج
إلى البئر فالحواء فالفُجّ فالصُّوى
صُوى تَثِلَ فالأجوادِ فالسفحِ من إجِ
تحُلُّ بأكنافِ الزفال فتيرسٍ
إلى زيز فالأرويتين فالأعوجِ

إلى أبلقي ونكار فالكربِ ترتعي
به حيث شاءت من حزورٍ وحُندجِ
تربعها حتى إذا ما تنجنجت
جوازئها تعدو إلى كل تولجِ
ومَرّت على الظهران من وهَج الحصا
جنادبُها من لافح متوهّجِ
بيومٍ من الجوزاء تشوى سمومه
جلودَ حواني الرّبْرَب المتولّجِ
وغرّدَ مُكَاء الأخرةِ بالضحى
تغردَ منزوف الشروب المزرّج
ولفّت نصي الليف هيفٌ تسوقه
ونشّت تناهي غيثها المتبعّجِ
وزفّتْ إلى الأعداد من كل وجهةٍ
أعاريبها من كل صرمٍ منجنج
ونادى مُنادي الحي مُنْياً وقوضوا
نضائدهم يا هاديَ الحيّ أدلج
وقُرّبتِ الأجمالُ حتى إذا بدت
نجوم الثريا في الدجا كالسمّرج
تكنّفن أحداجاً على كل ناعجٍ
عَبِنٌ بأنواع التهاويل مُخدَجِ

من القُمعِ أو من نحرِ نكجير يمّمتَ
معاطن جلوى لا تريع لمن وجي
جواعِلَ ذات الرمت فالواد ذي الصفا
يميناً وعن أيسارها أم هودجِ
وتزورُّ عن ذي المُرّ سيط فورّكت
لِمُسي ثلاثٍ حُبُّه لم تعرّجِ
وصبّحن جلوى طامي الجم وارتووا
ولم يُنْزِلوا عن هودجٍ خدر هودج
وقالوا الرحيلُ غُدوةً ثم صمموا
على مدرجٍ عوْدٍ لهم أي مدرجِ
أو احتملت من صُلبِ لِخرَيْش تنتحي
رُغيويّة الأملاح لم تتلجلج
أو السهبُ سهبِ التوأمين فغلّست
بواكرُها والصبْحُ لم يتبلّج
ومرّت على قلب الظليم كأنها
خناطيل زوّزت من نعامٍ مهيّج
وأمسى على كرّ المُزَيريف منهُمُ
لكاكٌ كضوضاء الحجيج المعجعج
ومنهم بأوشالِ الثُديّ منازل
وحيّ على أوشالِ هضبِ الأفيرجِ

منازلُ قد كان السرور محالفي
بها هي عندي بين سلمى ومنعج
ألا ليت شعري هل إليهن عودة
وهل أنا من غَمّ التنائي بمخرجِ
وهل لي في أودائها من معرّسٍ
وهل لي في أطلالها من معرّج
فإما تريني خَمّرَ الشيبُ لمّتي
وأصبحتُ صنواً عن شبابٍ مبهّج
فيا رُبّ يومٍ قد رصدت ظعائنا
بأبطح برت بين قوزٍ وحشرج
ظعائن بيضٌ قد غنين بنضرةٍ
تروق على غضّ النضير المبهّج
ظعائن يُنميها إلى فرَعِ العلا
لعامِرٍ يِعلى كل أزهَرَ أبلجِ
عليها سموطٌ من محالٍ مُلوّبٍ
من التِّبرِ أو من لؤلؤٍ وزبردجِ
يُفَصّل بالمرجانِ والشّذر بينه
وقد غصّ منه كل حجل ودُمْلُجِ
ظعائن لم تألف عصيداً ولم تبث
سواهِرَ ليلِ الجَرْجِسِ المتهزّج

ولكن غِذَاها رِسْلُ عوذٍ بهازرٍ
مورّثةٍ من كل كوماء ضِمْعَجِ
معودةٌ عقراً وبذلاً كرامُها
لضيفٍ وعافٍ من مقلٍّ وملفَجِ
مراتِعُها مرعى المهى ورباعُها
تُلاعبُ من أذْراعِها كلّ بحزجِ
ويُحدجْن مما قَدْ نجلْنَ نجائباً
نواعج أُدما من نجائب نعّجِ
ويَحلُلْن منها كل ميثاء سهلةٍ
وأجرع سهلاً بالحيا متبَرّجِ
فما أنْسَى لا أنْسَى الحدوجَ روائحاً
من أودية البطحاء فالمتموّجِ
عوامِدَ للسطلين أو هضبِ مادسٍ
نواكِبَ عن وادِ الخليج وعفلجِ
يُعَالَيْن من عَقْلٍ ورقْمٍ منمّقٍ
ويُسْدِلْن حُرّ الأرجوانِ المبرّجِ
قطيناً قطيناً فوقَ أُدم كأنها
هوادي صُوارٍ بالدماء مضرّجِ
دلحَن بأبكارٍ وعونٍ كأنها
عقائلُ عينٌ من مطافِيلِ تخرِجِ

كأنهم إذ ضَحْضَحَ الآلُ دونهم
خلايا سفين مُنْقَلٍ متعمّج
صوادرَ من ميناءِ جُورَ تَحُثُّها
نواتيُّها في زاخرٍ متموّجِ
أو العُمُّ من نخلِ آبن بوصٍ تمايلت
شماريخُها من مُرطبٍ ومنضّجِ
مجانين رُقْلٌ من كناوال ناوحت
فروعَ الثريا لا تُنَالُ بِمَغْرجِ
لها شرباتٌ قد نصفْنَ جدوعَها
رواءُ الأعالي حملُها غيرُ مُخدِجِ
وفي الظعن مجوَالُ الوشاح كأنها
صبيرُ حياً في بارقٍ متبوّجِ
تراءت وقد جدّ الرحيلُ بمشرفٍ
هجانٍ ووضّاح أغرّ مُفَلّجِ
فدبّتْ حُمَيّا الشوق في النفس واصطلت
تباريح إلا تودِ بالنفس تلعِجِ
عشيةَ لا أستطيع صبراً ولا بُكا
فأشفى غليلي والبكا مَفْزَعُ الشجي
وقد أعسِفُ الخرقَ المهيبَ أعتِسَافَه
بخرقاء من سرِّ الهجانِ عفنجج

مبينة عتقِ الحرّتين وخطمها
يباري السنان غير أن لم يزجّجِ
عجَمَجةٌ روعاءُ زيّافةُ السُّرى
أمونٌ كبُرجِ الأندري المؤرّجِ
إذا زعتَها بعد الكلالِ تغَشْمَرتَ
وحطّت حطاط الجندَلِ المتدحرج
كأني إذا أخليتُها الْخَرْقَ وارتمت
يداها برضراضِ الحصا المتأجج
على لؤلؤان اللونِ سفعاءَ لاعَهَا
تشمُّمُ أشلاءٍ بمضْرَعِ بحزجِ
من الخُنْسِ قد باتت وأضحت تعُلّه
بعمياء لا تخشى بها من مهيّجِ
فلمّا رمتْهُ في المفاصِلِ نعسةُ
إلى بطنِ حِقْفٍ بالصِريمةِ أعوج
تراخت بها عنه المراعي فأحدقت
به بؤسٌ ما إن لها من مهجهج
بنو قفرةٍ طُلْسَ المُلاَ من عصابةٍ
إذا أقدمت في غِرّةٍ لم تُحَجْحَجِ
شرابُهُم دمُّ العبيط وزادهُمُ
فَريسٌ طريدٌ لحْمُهُ غيرُ مُنْضِجِ

فراحت لعهدٍ كان منه فلم تجِدْ
سوى جلَدٍ أو رأسِ عظم مشجّجِ
فجالت قليلاً وانثَنَت تستخيرُهُ
ولم تدرِ أن من يعلَق الحتف يُخلَجِ
فطافت له سبتاً تُرجي إيابَهُ
وأنّى لها هيهاتَ ما هي ترتجي
فلمّا ذوث قردانُ دَرَّتِها طَوَت
على عَلّه يأساً مُبيناً لمن شجي
فباتت على فَرْوٍ أجَمّ كأنّها
تلألؤ مقباسٍ يشُبُّ لمدلِجِ
تُقَطّعُ من عزف الفلا جرراً لها
حذاراً فمهما يعزفُ الدوّ تمعج
تغُصُّ بها ما إن تكادُ تسيغُها
فتُلقَى لُفاظاً من لُغامٍ ورِجرجِ
فلما سرى عنها الدُجى الصبْحُ آنَسَت
به جرْسَ ذي طمرين بالصيد ملهِجِ
أخي سبعةٍ أو تسعةٍ قد أعدّها
لأمثالها من كل شهمٍ محرّجِ
يحثُّ ضراءاً كالحاتٍ تعوّدت
فغار الصباح من ضِراء ابن الأعوجِ

فما ذرّ قرنُ الشمس حتى غشيْنَها
وجدّتْ نجاءً غيرَ نُكْدٍ ولا وجِ
فألقت معاً أرواقَهَا وتمطّرت
على إثرها مستضرمات بعرفج
فأقصَرْن عنها بعد شأوٍ مغرَّبٍ
ومرّت كمصباحِ السماءِ المدحرج
تساقطْنَ حسرى بين وانٍ مغوّرٍ
وكابٍ بمكنون الحشا متضرّجِ
كأني إذا ما شبّت المغْزُ نورُهَا
على تلك أو هيقٍ هجفٍ هزلّجِ
أزجَّ من الزُّعر الظنابيب مُغْرسي
بخرجاء هوجاء البُرَايةِ عوهجِ
يعودان زُغْراً بالخميلة دَردقاً
ومرصوصَ بيضٍ حولَها لم يُنتّجِ
يظلاّن في آءٍ وشريٍ طباهُما
بأفرحَ من أزى الرواعد اذعَجِ
تزايلُهُ طوراً وتأوي فأمسيا
بمنتزح والشمس بالمتعرّجِ
فهاجَمَها جُنحَ الظّلام ادكارُهُ
فزفّا له في أنفِ نكباء سيْهَجِ

وقد أصحبُ القوم الكريم نجارهم
وخيمُهُم من كل أروعِ معنَجِ
يحوطُ المداعي والمساعي مُرزءٌ
تقيٌّ نقيُّ اللونِ غيرُ مزلجِ
عليه قبولٌ يغمرُ الحي سيْبُه
إذا لم يكن في الحي ملجأً لملتجِ
كرامٌ صَفَتْ أخلاقهم وتمحّضت
وليس الصريح المحضُ مثل الممزّجِ
أولئك أخداني فأصبحتُ بعدهم
أسايرُ خلقاً نهجُهُم غيرُ منهجِ
يرونَ جميلاً ما أتوا من قبيحهم
فيا للإله للسُّفاهِ المروِّجِ

* * *

الشاعر محمد بن محمد العلوي(*)

ولّتْ ليالٍ إلينا ساقها الزمن
ما سيق من بعدها للأعين الوسنُ
ولّت سراعاً وولّى البشرُ يتبعها
عنا وأقبل من أدبارها الحزَنُ
ولّت، فقائم ركن الصبر منهدم
من بعدها ومصون الدمع ممتهن
قد غبن بالوصل ممن لم يغب جزعي
من بعد ما غاب عنا وجهها الحسنُ
يمن إذا قابلت يوماً محدثة
تحاسدت عند ذاك العينُ والأذنُ

(*) الوسيط.

بانوا بها لا سقى الساقي مطيّهم
ولا رعت ما وشاه العارضُ الهتن
يا ظاعنين ولي نفسٌ تصابحهم
في بينهم حيثما ساروا وما سكنوا
حمّلتموني ثقلاً من تحملكم
يعوق جَلْدَ القوي عن حمله الوهن
إن ظلتُ بعدكمُ أدعو الربوع لما
هاجت لقلبي من ذكراكم الدِّمِنُ
تعَادني زفرةٌ يرتدُّ صاعدها
من عبرةٍ ضاقَ عن منهلّها الجفنُ
ليت الألى ظعنوا بالقلب إذ ظعنوا
لم يظعنوا، والألى لم يظعنوا ظعنوا

* * *

الشاعر الشويعر البوحسني(*)

أمن ذكرِ سلمى أن عرفت لها رسما
كما رجعت حسناء في المعصم الوشما
به الوُرق تشدو والظباءُ مريّة
ومور السوافي ما تركن له وسما
مزجتُ دموعاً بالدماء صبابة
وأغرى بك اذّكار أزمانها الهما
بلادٌ بها أسماء كانت مقيمة
وكانت نواحيها مجالسنا قِدما
فأمست يباباً بعدها وتمهمهت
وأمست لذا أناؤها بعدها دُهما

(*) الوسيط.

دعاني إليها الشوقُ حتى أتيتها
وروّعت سرباً كان مستوطناً ثمّا
ومما شجاني إنني إن سألتها
أكونُ كأني سائلٌ صخرة صمّا
فما زلت أبكي في الديار وأنثني
كئيباً وما لاقيتُ قد أوهن العظما
وقد مرّ بي ركبٌ وقد شفني الهوى
فقالوا: وما يبكيك؟ قلت لهم أسما
فقالوا ومن أسما؟ ومن حيّها الذي
إذا ذكرت أسما نراها له تُنْمى
فقلت لهم أسماء من آلِ يوسفٍ
ويوسف ذا عمري هو النسب الأسمى

* * *

الشاعر اعمر مولود بن شيبة الأنتابي

لـمثلها من عتاقِ شعشعاناتِ
قضى اللبانة معنيّ اللباناتِ
ملموجُ شُدّت لطياتٍ بأرجلها
ويلُمّها إبلاً شدُّت لطيّاتِ
راحت برحلي من (فرّلّ) واكتفلت
تلك العشية بالسبع الأضيات
طوى برحلي أجوازَ الفلا يَققٌ
عركرِكُ من ذواتِ العجرفيات
جأبُ الشراسيف ينبو عن وليته
كالأخدري يُباري أخدريّاتِ
إذا النجائب أمست لا حراكَ لها
تحت الولياتِ أشْبَاهُ البليّات

نُجَبٌ يَنجيننا من كل مهلكة
لم يقتحم هولها إلا ابن مقلاةِ
زوى الأرّيب عنها خوفها فخلت
إلا الوحوشِ، جماعاتٍ جماعاتِ
ولو تراهنّ يفرين الفريّ بنا
منا بكل فتى كالنصلِ مصلاتِ
ضخم الدسيعة لا ينفك ديدنه
نيط المسرات أو ميط المضرّات
معصوصباتِ على معصوصبٍ خشِنٍ
ما بين وهمٍ علندي أو علنداةِ
ما لي أراهُ مذ يومي وليلاتي
نامت فؤادي إحدى الآدميّات
أدمانة من بني المبروك حُمّ لها
منها لعمري إدمانُ الصبابات

* * *

الشاعر محمدو بن محمدي

زارت عُلَيّ على شحط النوى سحراً
فاعتاض جفنك عن طيب الكرى سهرا
زارت، فبات نظام الهم مجتمعاً
شوقاً، وبات نظام الدمع منتشرا
فالقلب يَغلي وجفن العين يسعده
بمدمعٍ كلما كفكفته انحدرا
يا رب مشتبهات لا منار لها
من خاضها ركب الأهوالَ والغرَرَا
ضافت إلي، ودوني من هوائلها
ما يستتيه عن القصد القطا الكدرا
عهدي بها لم تزر جاراتها كسلاً
واهاً لها كيف باتت تسلك الوعرا

زارت معرس سفرٍ بعدما ارتحلوا
شهراً رواحاً وتهجيراً ومبتكراً
تهوي بهم راقصات العيس طاوية
أخفافها من عراضِ البيد ما انتشرا
بُزلا سما إلنّيّ في أثباجها وعلى
غربانها لبّدت أذنابها الخطرا
باتت تشق ظلام الليل نحوهم
يا عظم ما كلفت أوحالها الفطرا
ما أنسى لا أنسى والأيام مولعةٌ
بفرقة الشمل إذ خالستها النظرا
فأومأت بكحيل الطرف باسمة
نحوي لكيما أرى أن الرقيب يَرى

* * *

الشاعر ابو بكر بن محمد بن أبو بكر

يصف يوماً من أيام الزراعة
حيث يهشون الطير عن محصولهم

ويومٍ من أيام الوغى ليس مثله
من الدهرِ يومٌ لا حُنين ولا بدر
ولا شيبك كلا ولا الجل إنه
على كل أيام الحروب له فخر
فبينا نقاوي الدهر ينتج غارزاً
حرايث زرعٍ ناعمٍ نبتها نضر
تعاورها الأمطار حتى كأنها
من الزهو نخلٌ كاد يصرعه الوفر

نطوف به طوراً ونزعم أننا
إذا ما حصدناها فقد حُصد الفقرُ
وحتى إذا كادت تغيب رعاتُها
أتيح لها طيرٌ مناقرها حمرُ
توطنت الأحراص حتى حسبتها
سوى سنبل الأحراث ليس لها وكر
فلما رأيناها تحاول أكلها
وللشر أهوالٌ يضيق بها الصدر
بنينا تواكيداً طوالاً عمادها
فلما استوينا فوقها ودنا الأمر
أخذنا سواويطاً كأن ونينها
رنين قسي النبع هيجها نتر
يطير فتيتُ الطوبِ شتى كأنه
رصاصٌ تداعى خلفه الزند والشفْرُ
وظللنا قياماً لا قعوداً كأننا
جذوع رواسٍ ما يزول بها دهرُ
ومن تحتنا بالأرضِ منا جماعة
تخالُهم يجرون كلهم كروا
وتزقو كما تزقو رجال عشية
تداعت على عليا مهيب لها زجر

فما من جلوسٍ لا سوى. . .[1] ما به
تحل يمين الحالفين أو النذر
ولا وقعت في الوقت من صلواتنا
صلاةٌ، فما ظُهْرٌ أداء ولا عصر
يظن إذاً من قدره ذاك إننا
زناديق كُفّارٍ وليس بنا كفر
بلى إن دين المصطفى هو ديننا
لك الحمد مولانا على ذاك والشكر
ولكن تلك الطير لم أر مثلها
عن الزجر والتسواطِ يشغُلها النقْرُ
إذا ما هزمنا عصبة من جيوشِها
أتت عصبة من بعدها مكرَهَا المكر
فنهزمهم كل انهزام وكلما
تركناهم بعد انهزامهم كرُّو
فما زال هذا دأبنا وهو دأبها
لدن أشرقت حتى تضمنها البحر
فإن تك لم تمنع من الطير زرعنا
ولم نستفد منها فقد بقي الأجر
وما خاب من بالأجر فاز فإنه
هو الفوز ما في ذاك ريبٌ ولا نكر

* * *

(*) كلمة سقطت من النص.

الشاعر محمد بن سيديا(*)

ما حلّ عقدة عزمي سحرُ حوراء
ولا ازدهى طود حلمي برقُ زهراء
عصرُ الصّبا أتّقتني فافتديتُ بها
سُبُلُ الهداتِ وأخلاق الأعفّاءِ
حبسْتُ نفسي بسجنِ الصبْرِ منتضياً
عزْمي وقيدتُ ألحاظي بإغضاءِ
كي لا تمر إذاً في وجْهِ غانيةٍ
بروضةٍ من رياضِ الحسن غنّاء
ماءُ الملاحة جارٍ في مسائلها
إلى منير أقاحٍ وسْطَ حوّاء

(*) ديوان محمد سيديا، مخطوط مكتبة المؤلف.

فتنثني لفؤادي وهي رائدةُ
له فتخبره بالرّعي والماءِ
حتى إذا القيهلُ التاثت حديقته
به وهمّت بأزهارٍ وافياء
وكاد يُصبح ليلي بعد دهمته
وآن وقتَ انتباهي بعد إعفائي
سرحتُها من وثائق إذ وثقْتُ بها
والعجبُ أصلٌ لما في النفس من داء
فأنست في حوارِ العين آنسة
وفي السحائب منها برق غرّاءِ
فانهدّ إذ ذاك طودُ الحلم وانتكثت
من عرى العزم لمح الطرفِ من راء
حتى هممتُ بشيء ما هممت به
أزمان لاقَ بأشكالي وأكفائي
حسناءُ هام بها قلبي ولا عجب
كم هام قلبٌ فتى قبلي بحسناء
هنّ اللواتي أذقن الموت عروة
والنهدي عن مقتلي هندٍ وعفراء
وابن الملوح قيساً في فتوّته
أصمعيْنَ وابن ذريحٍ أيّ اصماءِ

كم ذا هممت بوصليها فتردعني
عنها روادع من آيٍ وأنباء
فأنثني وأقول الله أرحمُ أن
يولي انتقاماً على وصْلِ الأحباء
ولم أزل هكذا حتى تنهنهني
عداوة وردت بين الأخلاّءِ
هناك ازوُر كزهاً عن زيارتها
كي لا يُجر لها المكروه جرّائي
وأيّ شيء على الأحرار أشنعُ من
تسبُّبُ في معاداةِ الأوذاء
هذا وليست يدٌ لي أن أعاديَ من
شدّت يديها بقلبي بعد ابداء
ولاودتني ولا انقادت إلى قوَدي
ولم ترقّ كأرباب الأرقاءِ
وأقبلت تتشكّى وهي مشكيةٌ
كالقوسِ رنّت وقد شاكت بحرّاءِ
وشافعٌ في محيّاهَا شفاعته
يمحو بها حَوْبها من كلّ حوباءِ
أما وعزّة من أهوى عليّ على
هوني عليها وإبعادي وإقصائي

لولا خشاني عليها سوءُ عاقبة
لمّا يُعقبْ تماديها بإنهاءِ
لصلتُ للوصل جهراً لا تنهنهني
زُرق الأسنةِ في أيدي الأشدّاء
حتى أمَرّ حبالاً لا يغيُّرها
طول التنائي ولا مشيُ الأنمّاءِ
فامزجُنّ بروحي روحَها فنَرى
روحاً بشخصين مزج الراح بالماء
وحينما شئت بتنا في مسرّتنا
سرنْن يكتمنا حيزوم ظلماء
أفٌ على الصبح ما دام الوصالُ فإن
كان التقاطع فلينعم بسُرّاء

* * *

الشاعر ولد ابنو

يهجو تاجراً يدعى (نجير)

لحا الله التجارة كلفتنا
معاناة المسير إلى (نجير)
وإظهار الوداد له على ما
أجنّ من الخبائث في الضمير
عليه من المذلّة سابغاتٍ
تجرر في المقام وفي المسير
وأما فاه فاح النتن حتى
كأنا عند حاشية السعير
وإن رمنا حوائجنا تصدّى
إلى سعلاء دائمة الهرير

يـحـاول أن تـشـيـر لـه بـرأي
يـجـنـب كـل مـكـرمـة وخـيـر
تـردت بـالـمـخـازي والـمـسـاوي
وجـنـبـت الـتـردي بـالـحـريـر
فـقـبّـح وجـهـهـا مـن مـسـتـشـار
وقـبّـح وجـهـه مـن مـسـتـشـيـر

* * *

الشاعر المختار الحامد

شفاء الضنا من مريم لثم مريم
ومن دونه خرط القتاد على الفم
لو أني لها كفؤ إذاً لشفيته
بوجهٍ صحيح جائز لا محرم
ففي شفتيها والثنايا مطامحي
وفي ريقها برء العليل المتيم
ألا لا تفُتْك الخود إن كنت كفأها
فما كل أهل اليوم كفؤ لمريم
فإن فتى فاتته مريم فاته
لعمرك شرط من شروط التنعم
تسلّ بها لا تسل عنها فتعتلق
بذكر سليمى والرباب وتندمِ

* * *

الشاعر مختار الحامد

طيف لمريم زارني في منزلي
ليعلّني منها ولو لم أنهلِ
بسلافةٍ من ريقها تجري على
درّ نظيم في اللثاة مُفَصّل
وبوردةٍ في خدّها ممطورة
وبزهرة في ثغرها لم تذبُلِ
وبرملة في ردفها، وببانة
مالت على ذاك الكثيب الأهيل
وبنرجسٍ رد الطفولة والصبا
في عين هاتيك المهاةِ المطفلِ
إن كانت إلا نظرة عرضاً وقد
«أمسيتُ ممسى راهبٍ متبتل»

فرجعت أصغَرَ والمشيب مقنعي
ومحَنكي (من ذي تمائم منْحَلِ)
وظللتُ كالمدري بليلٍ مظلم
من فرعها «ما الصبْح منه بأمثل»
يا قوس حاجبِ مريم، يا اسهماً
في لحظها. لا تُرس لي لا تُرسلي
يا صارماً في جفنها، يا عقرباً
في صدغها لا درع لي لا نعل لي
رفقاً بمن ضحك المشيب بفوده
«فبكيت حتى بلّ دمعي محملي»
رحل الشباب وليته لم يرحلِ
يا في سبيل الله من مترَحّل
قل للشباب إذا نزلت بحيّه
ولقيته ولقيتهم في منزل
«لو كنت أعلم أن آخر عهدكم
يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل»
ولقد صرفت على المشيب سويعة
فوّتها في جنح ليلِ أليل
في جنب خودٍ كالجديل خصُورها
«أهوى مخارمها هويّ الأجدل»

أسقى بخمرٍ لذةٍ وأعضّ في
بردٍ ولم يُمسَك...[1]
فكأن ليلي يوم دارة جلجل
وكأنني فيه ابن أخت مهلهل
«هذا وإن الضيف مخبر أهله
بمبيت ليلته وإن لم يُسألِ»

* * *

(1) كلمة سقطت من النص.

الشاعر ابو فمين

أصـرخ لـقـبّـرةٍ نـاءت عـن الـوطـن
كـمـا نـأيت ويـبـكـي سـاكـن الـوكـن
مـغـبـرة الـطـوق والـمـنـقـار جُـؤجُـؤهـا
تـشـويـه حـمـرة مـصـفـرة الـبـدن
لـمـا شـدت خـلـت أنـي كـنـت أعـهـدهـا
بـذي ذوي مـائـة تـشـدو عـلـى فـنـن

* * *

الشاعر محمد وليد الشيخ سيديا(*)

لعمرك ما ترتاب (ميمونة السعدي)
بأنا تركنا السعي في أمرها عمدا
سوى أننا كنا عبيد مشيئة
ولا عار في أن يعجز السيدُ العبدا
فليس علينا أن يساعدنا القضا
ولكن علينا أننا نبذل الجهدا
ألم تر أنا قد رعينا عهودها
على حين لا يرعى سوانا لها عهدا
حبسنا عليها وهي جدبٌ سوامنا
فما صدنا السعدان عنها ولا صدا

(*) ديوان محمد سيديا، مخطوط مكتبة المؤلف.

ويظعن عنها الناس حال انتجاعهم
ولم ننتجع برقاً يلوح ولا رعداً
وإذ غدرت فانفض من كان حولها
وَفينا ولم نغدر ولم نخلف الوعدا
فجئنا لها حتى ضربنا قبابنا
على نجدها الميمون أكرم به نجدا
ومرجع سانيها جعلنا مخيما
لئلا نصون الشيب عنها ولا مردا
نظل وقوفاً صائمين على الظما
نخال سموم القيظ في جنبها بردا
وتذري علينا الرامسات غبارها
فننشقه من حب اصلاحها وردا
ويشرب كل الناس صفو مياههم
ونشرب منها الطين نحسبه شهدا
بهذا ترى ميمونة إنْ تركنا
لها لم يكن منا اختياراً ولا زهدا
على أننا والأمر عنا مغيب
ولله ما أخفى ولله ما أبدى

من الله نرجو أن ييسر أمرها
ويجعل بعد النحس طالعها سعدا
فيرأب مثآها ويجبر كسرها
ويبقيها ميمونة كاسمها (سُعْدى)

* * *

الفهرس

الصفحة

مقدمة 7
الشاعر عبدالله بن محمد عبدالله بن
سيدي علي النجيب 11
الشاعر عبدالله بن محمد عبدالله بن
سيدي علي النجيب 13
الشاعر حمّاها بن محمود 17
الشاعر محمد بن ابراهيم الانصاري 23
الشاعر حمّاها بن محمود 25
الشاعر محمد المختار بن حوّد الأنصاري 27
شاعر يمدح الشيخ حبيب الله الكنتي 31
الشاعر عثمان بن حوالن الأنصاري يمدح
أمير الأنصار اللود الأنصاري لحربه الفرنسيين 36
قصيدة الشيخ أحمد البكاي الكنتي 55

قصيدة الشاعر سيدي عبدالله ولد أحمد دام 69
قصيدة الشاعر سيدي عبدالله ولد أحمد دام 71
قصيدة الشاعر محمذن الفغ الجكني 73
الشاعر ابن أحمد يوره 77
الشاعر ابن أحمد يوره 79
الشاعر ابن أحمد يوره 81
الشاعر القاضي محمد يحيى بن الدنبجة 82
الشاعر امحمد بن الطلبة اليعقوبي 92
الشاعر امحمد بن المختار بن
الفغ موسى اليعقوبي المعروف بابن الطلبة 95
الشاعر محمد بن محمد العلوي 106
الشاعر الشويعر البوحسني 108
الشاعر أعمر مولود بن شيبة 110
الشاعر محمدو بن محمدي 112
الشاعر أبو بكر بن محمد بن أبو بكر 114
الشاعر محمد بن سيديا 117
الشاعر ولد ابنو 121
الشاعر المختار الحامد 123
الشاعر مختار الحامد 124
الشاعر أبو فمين 127
الشاعر محمد وليد الشيخ سيديا 128

عاش عرب الصحراء في تعتيم مقيت، جهل أخوانهم عنهم كل شيء.

غير أنهم لم يأبهوا بذلك، فأرسوا دعائم حضارة صحراوية في تلك الأصقاع وتكيفوا مع الصحراء واتساع آفاقها ووعورة مسالكها. فأنشأوا المدارس الخاصة بهم، وأكثروا من الكتاتيب. ونبغ منهم الشعراء والأدباء والمؤرخون والعلماء الأجلاء. وعمرت خيام الصحراء بآلاف المخطوطات اللغوية والفقهية والتاريخية ودواوين الشعر.

710
3
5

To: www.al-mostafa.com